312

HARLEQUIN

روايات أحلام

تعال نطفئ النجوم

كارول مورتيمر

www.elromancia.com
مرمورية

تعال نطفئ النجوم

كيف أمكن لماتي كراوفورد أن تكون غبية وعديمة المسؤولية بهذا الشكل؛ ربما تسرعت عندما اتهمت جاك بوتشامب أنه زير نساء. وحاولت أن تلقنه درساً. ولكن هل هذا يبرر إصراره على اصطحابها معه إلى باريس؟ وهل هذه طريقته في عقابها؟

قضاء عطلة نهاية الأسبوع في باريس كان حلماً بالنسبة لماتي... ولكن مرافقة جاك لها جعلتها ترجو أن تنتهي العطلة سريعاً قبل أن ينفذ عقابه.

كارول مورتيمر

«ولدت في انكلترا، وكنت الابنة الصغرى بين ثلاثة أطفال، فلدي أخوان أكبر مني. بدأت الكتابة سنة ١٩٧٨، وكتبت حتى اليوم أكثر من ١٠٠ رواية لـ «ميلز أندبون».

لدي أربعة أبناء: مايو، جشوا، تيموثي وبيتر، وأملك كلبة من صنف «كولي» اسمها ميرلين. زوجي أيضاً أسمه بيتر، ونحن صديقان كما أننا متحابان، وهذا يجعل علاقتنا الزوجية ناجحة تماماً».

كارول

www.elromancia.com

١ ـ أشيري بإصبعك . . فقط!

ـ هذا الرجل ليس سوى زير نساء!

هذا ما قالته ماتي لأمّها، فيما ظهر الانفعال على كل جزء من جسمها النحيل البالغ ١٦٠ سنتيمتراً من الطول. والتمعت عيناها الزرقاوان بقوّة في وجهها البيضاوي الشكل. حتى شعرها الأشقر المسَّرح، الذي يصل إلى ما دون كتفيها، بدا متمرّداً كأنه يعبرّ عن شدّة السّخط الذي يفور في داخلها.

كانت أمها تجلس وراء مكتبها، فحذّرتها قائلة: «ماتي، يبدو لي أنك مرة أخرى تطلقين واحداً من أحكامك اللاّذعة، وكلتانا نعرف كم كانت هذه الأحكام خاطئة في الماضي».

ثم أضافت برقّة: «بالإضافة إلى ذلك، هل أنت متأكّدة بأنك لست مبالغة في الانفعال بسبب ما فعله بك ريتشارد؟ أعني. . بعد أن استمرّت علاقتكما لثلاثة أشهر، أبلغك أنّه سوف يتزوّج بامرأة أخرى؟».

كانت ماتي تفضّل، في الواقع، ألاّ تفكّر بالإذلال الذي أحسّت به حين أخبرها ريتشارد أنهما لن يتقابلا بعد ذلك اليوم، لأنّه سوف يتزوّج بعد أسبوع. لذا ظهر عليها الاضطراب، فقالت الأم مذعنة:

ـ على الرغم من ذلك، واستناداً إلى ما أخبرتني به عن ذلك الرجل، يبدو أنه مبالغ قليلاً في علاقاته.

ردّت ماتي باشمئزاز: «قليلاً؟ أمي! لديه أربع صديقات».

ثم أكملت بنبرة تحمل بعض الشك: «ويبدو أن ثلاثاً منهن

متزوجات».

والدة ماتي تبدو نسخة طبق الأصل عن ابنتها الرائعة الجمال، لكنّها أكثر امتلاءً وأكبر سنّاً. علّقت على كلام ابنتها قائلة:

ـ المتزوّجات لديهنّ خبرة أكبر. ويبدو أنّ بعض الرجال يعتقدون أنّ العلاقات المتعدّدة أكثر أماناً.

قطّبت ماتي: «أكثر أماناً؟».

أجابت الأم بابتسامة ملتوية: «العلاقة مع امرأة واحدة قد تجعلها تطمع بالزواج من الرجل».

قالت ماتي بسخرية بالغة: «أيّ امرأة تتمتع بعقل سليم يمكنها أن تفكّر بالزواج من رجل كهذا؟ إنّه ليس سوى خنزير قذر!».

وإذا بصوت رجولي أجشّ يتشدق قائلاً، وقد بدت عليه التسلية:

ـ أنا شخصياً، أعتقد أنه يستحق أن يرمى به في الشارع، ويجلد بالسوط على مرأى من الناس.

تجمّدت ماتي في مكانها، حيث تقف بمحاذاة مكتب والدتها. شعرت بالارتباك وعلا الاحمرار وجهها، دون أن تجرؤ على النظر باتجاه مصدر الصوت. فهي لم تكن تدرك مطلقاً أن أحدهم يستمع إلى حديثهما.. وأن هذا المستمع هو.. رجل!

أما والدتها، فلم تبدُ عليها مظاهر الارتباك. بل قامت من مقعدها واستدارت حول المكتب وهي تبتسم للقادم:

ـ هل يمكنني مساعدتك؟

عرّف الرجل عن نفسه: «جاك بوتشامب».

ثم تابع يذكّرها: «اتصلت بالأمس عبر الهاتف، من أجل إيداع كلبي لديكم خلال عطلة الأسبوع القادم، فأخبرتني أن بإمكاني الحضور لإلقاء نظرة على المكان قبل ذلك».

بدا الشحوب على وجه ماتي. أيكون الرجل.. أو بالأحرى كلبه، زبوناً محتملاً في نزل الكلاب الذي تملكه والدتها؟

أضاف الرجل بنبرة استفهام رقيقة: «أرجو ألاّ أكون قد قاطعتكما. أنتِ قلت لي إن بإمكاني الحضور في أي وقت من بعد ظهر يوم الأحد».

ابتلعت ماتي ريقها بصعوبة، آملة أن يستعيد وجهها لونه الطبيعي. فهي لم تتعرض طيلة حياتها إلى موقف محرج ومربك كهذا.

ردّت الأم بلباقة: «بالتأكيد، سيد بوتشامب. يسرني أن أرافقك لكي تعاين المكان. أنت تملك كلب كولي اسكوتلندياً، على ما أظنّ؟».

يا لها من امرأة ذكية! فكّرت ماتي بذلك وهي تبتسم متأثّرة، فأمّها لا تنسى مطلقاً نوع الكلب أو منشأه.. مع أن مالكو الكلاب لا يبالون بذلك غالباً.

أجاب جاك بوتشامب مؤكّداً: «نعم، واسمه «هاري». لكن إذا كنت مشغولة، يسرّني أن ترافقني مساعدتك خلال جولتي في المكان».

مساعدتها؟ نعم. هذا ما بدت عليه ماتي بالنسبة لذلك الرجل، فهي ترتدي بنطلوناً من الجينز وبلوزة من القطن زرقاء اللون. وهذه ثياب مثالية للعمل في نزل للكلاب. إنّها، في الواقع، تقدّم المساعدة لأمّها خلال أيام الآحاد. لكن هذا ليس بالتحديد عملها لبقية أيام الأسبوع..

سحبت نفساً عميقاً قبل أن تستدير. كادت أنفاسها تعلق في حنجرتها، وهي تنظر إلى أكثر الرجال وسامة من بين من وقعت عليهم عيناها، على الإطلاق! بدا الرجل في أوائل الثلاثينات من عمره، فارع الطول، ذا جسم رشيق ممتلىء بالعضلات. شعره الأسود القصير مصفّف بعناية، أما عيناه فلونهما بني غامق، لم يسبق لماتي أن رأت مثيلاً لهما. وفكّرت أنّهما تبدوان دافئتين تماماً كالشوكولا الذائبة!

بدا عليه اللطف والغموض معاً. أقرّت ماتي أن وجهه ليس سيئاً أيضاً؛ فهو نحيل أسمر اللون، وبدا أنفه كأنه قد أصيب بكسر منذ سنوات، وفمه ممتلىء يوحي بالابتسام. ما من شيء فيه يوحي بعدم الارتياح سوى ذقنه التي ترتفع بعناد. كان يرتدي قميصاً قطنياً أسود اللون فوق بنطلون بلون أزرق داكن.

www.elromancia.com

أومأت ماتي ببرودة: «يسرّني أن أريك المكان، سيد بوتشامب».

ثم أكملت موضحة: «كما سبق أن قلت، أمي لديها الكثير من العمل لتقوم به الآن».

قال الرجل، وقد أشرقت عيناه البنيّتان وكأنهما تضحكان لها، مبدياً استحسانه لطريقتها في تصحيح معلوماته بشأنها: «آه، آسف لارتكابي هذا الخطأ. كان يجدر بي أن ألاحظ الشّبه الشّديد بينكما».

ـ أوه، لكن...

قاطعت ماتي أمّها بتصميم قائلة: «أمي، أرجو أن تكملي ما كنت تقومين به. أنا متأكّدة أننا ـ أنا والسيد بوتشامب ـ يمكننا تدبّر الأمر معاً».

رمقتها أمّها بنظرة قلقة متسائلة، قابلتها ماتي برفع حاجبيها الأشقرين ببراءة. فربما لم تلاحظ الأم أن ابنتها كانت في مزاج يسمح لها بالتعامل مع السيد بوتشامب، الذي يبدو أنه يتحلّى بثقة بالغة بالنّفس! ومن المحتمل أيضاً أن تكون قد لاحظت ذلك، لكنها أبدت تساؤلها وقلقها بسبب الحديث الذي كان يدور بينها وبين ماتي لحظة وصول الرجل إلى مكتبها.

مرّ نزل الكلاب الذي تملكه والدة ماتي، بأوقات عصيبة خلال السّنة الفائتة. فأولئك الناس الذين أتيحت لهم فرصة مزاولة أعمالهم وهم مرتاحون داخل بيوتهم، أو في مكاتب مريحة مقفلة، لا يملكون فكرة حقيقية عن مصاعب الالتزام بعمل كهذا. بدءاً من العمل لساعات طويلة، وصولاً إلى البقاء في حالة من التأهّب على مدار اليوم من أجل تأمين الرفاهية لحيواناتهم، ذات الفراء.

من وجهة نظر ماتي، يعدّ «وفدورف» نزلاً للكلاب من الدّرجة الممتازة. قد يتّسم رأيها ببعض التحيّز، إلاّ أن هذا المكان ظلّ موضع اعتزاز أمها، ومدعاة سرورها خلال الأعوام العشرين الأخيرة.

وبالرّغم من أن جاك بوتشامب يجهل ذلك، فهذا فعلاً ما سوف يراه عندما يقوم بجولته لتفحّص المكان.

رمقته ماتي بنظرة مدمّرة وهي تقول: «اتبعني، سيد بوتشامب، وسوف

أريك وسائل الراحة والتسلية التي نوفرها للكلاب داخل النزل».

ـ ما عليك إلاّ أن تشيري بإصبعك، وسوف أتبعك إلى أيّ مكان.

أجفلت ماتي، واستدارت بحدّة لسماعها هذه الكلمات. قطّبت جبينها ما أن أدركت أن جاك بوتشامب أخذ العبارة التي استخدمتها «اتبعني» بمعناها الحرفي، وتعمّد الرّدّ عليها بهذا الشكل. كان يقف وراءها مباشرة، إلى درجة جعلتها تكاد ترتطم بصدره الممتلىء بالعضلات.

تراجعت خطوة إلى الوراء بصورة تلقائيّة، قبل أن تقول: «عذراً، ماذا قلت؟».

وبالتأكيد، لم يكن بإمكانه أن يعيد بصوت مرتفع ما سبق أن همس به فعلاً. ابتسمت الأم لهما بتهذيب، وبدا واضحاً أنها لم تسمع تلك الكلمات الاستفزازية.

نظر جاك بوتشامب نحو ماتي ببراءة، من دون أن يرفّ له جفن. ثم قال بلطف: «كنت أقول إنّ الطقس يبدو جيّداً في هذا الوقت من السنة».

بدت في عينيه نظرة تحدٍّ تشوبها التسلية. بل في الواقع، بدا أن الرجل كان يضحك منها في سرّه، منذ اللحظة التي دخل فيها إلى المكتب، مقاطعاً الحديث الذي كان يدور بينها وبين أمّها.

لم تصدّق ماتي في تلك اللحظة ادعاءه بأنّ هذا ما كان يقوله لها من قبل.

أشارت إليه ليتقدّمها إلى خارج المكتب، فيما كانت تمسك بالباب لتبقيه مفتوحاً، قائلة بلهجة رسميّة: «تفضّل سيد بوتشامب».

فأجاب بتهكّم، محنياً رأسه ذا الشعر الأسود: «من بعدك، آنسة كراوفورد».

في اللّحظة التي تحرّكت فيها ماتي باتجاه الباب، قرر أن يتحرك هو أيضاً، ما جعل جسدها ينحشر بين الباب من جهة وبين جسمه القويّ من جهة أخرى. وأدركت ماتي أن الأمر لم يأتِ مصادفة على الإطلاق.

وفيما اندفع كلاهما بقوّة في نفس اللحظة إلى الخارج، تمتمت ماتي: «آسفة».

أجاب متشدقاً، والسخرية بادية بوضوح في نظراته الداكنة: «لا داعي للأسف».

بعد أن أصبح كلاهما في الخارج، وقفا تحت أشعة الشمس الربيعية.

شعرت ماتي بارتعاش في جسمها بأكمله بسبب ذلك الاحتكاك غير المتوقع بين جسديهما. وأصبحت أكثر اقتناعاً بأنّه تعمّد القيام بذلك، بعد أن راح يبتسم لها كأنّه يسترضيها.

قالت ماتي بلهجة مهذّبة: «لو لم تكن قريباً جداً حين تبعتني، سيد بوتشامب، لربّما..».

كان فمه لا يزال ملتوياً بتلك الابتسامة التي تزيدها غيظاً. فوافقها قائلاً:

ـ حاولت ألاّ أفعل، آنسة كراوفورد.

بعد لحظات، وفيما هو يتبعها عبر الممر المحاط بالأزهار، والذي يؤدي إلى داخل النزل المخصّص للحيوانات، قال وكأنه يود أن يغيظها أكثر: «يبدو لي وجهك مألوفاً، أيحتمل أن نكون قد تقابلنا قبل اليوم؟».

التفتت إلى الوراء لتجيبه.. فإذا بها تجد أنّ نظراته مركّزة بقوّة على حركاتها الرشيقة، فيما هي تسير.

هكذا إذاً! لحسن الحظ أن مظهرها اليوم، على الأقل، يبدو شبيهاً بمظهر الخادمة التي تعمل في نزل الكلاب هذا.

ـ أعتقد أننا، بشكل ما، لا نتحرك في الوسط الاجتماعي نفسه، سيد بوتشامب.

قال متشدقاً: «أنا لا أتحرك في وسط اجتماعي محدّد، آنسة كراوفورد. ومع ذلك، لم أقصد أنني سبق أن رأيتك في إحدى الحفلات أو ما شابه».

ثم تابع ببطء، وقد ضاقت عيناه باهتمام وهما تتفحصان جمال وجهها ونعومته: «أنا فقط أشعر.. بأنك مألوفة لدي».

وأتبع كلامه بهزّة مؤثرة من كتفيه.

ـ حسناً، أؤكد لك أنني لا أبادلك هذا الشعور.

أطلقت ماتي ضحكة مشاكسة، فانسدلت أهدابها الداكنة الطويلة لتخفي وميض الغضب الذي التمع في عينيها في تلك اللحظة. وفكّرت أن بإمكانه أن يفسّر كلامها كما يحلو له.. سواء كان ذلك يعني أنهما لم يلتقيا من قبل، أو أنّه رجل غير ملفت للنظر، ولهذا فهي لا تتذكّره.

مع أنّ الأمر لم يكن كذلك في الواقع!

أشارت نحو الباب المؤدي إلى داخل النزل المخصّص للكلاب، وقالت بحدّة: «من هنا».

ما أن فتحت الباب حتى تعالى نباح الكلاب محدثاً ضجّة صاخبة، وكأن هذه المخلوقات شعرت بوجود الصحبة.

ـ جميع الغرف عندنا مغطاة بالسجاد، ومجهّزة بتدفئة مركزيّة.

راحت ماتي تنحني كلما مرّا أمام وجار أحد الكلاب، ممسّدة ظهره بيدها من خلال الباب المصنوع من الشريط المتشابك.

ـ يحب بعض الكلاب الجلوس على كرسي، فنضع لهم واحدة في وجارهم. كما أننا نبدّل عدّة النوم والأواني كلما حلّ في الوجار نزيل جديد، مع أنّنا لا نمانع إذا ما فضل الزبون إحضار عدّة النوم والطعام الخاصة بكلبه..

واندفعت ماتي بشكل تلقائي في حديث مهني يتعلق بالعناية بالكلاب فهي ذات خبرة في هذا المجال. لم تعد تذكر منذ متى راحت تساعد أمّها خلال العطل الأسبوعيّة. وبما أن الأسعار التي تطلبها أمّها من أجل استقبال الكلاب في النزل ليست متهاودة على الإطلاق، فقد أرادت أن توضح لجاك بوتشامب أن الكلاب تحصل على عناية فائقة مقابل ذلك المال. فقالت بلهجة متساهلة: «كما أنّنا نزوّد الغرف بجهاز تلفزيون، فبعض الكلاب معتادة على مشاهدته. وكما ترى...».

توقفت فجأة عن متابعة الحديث، عندما أدركت أنه قد تخلّف عنها منذ اللحظة التي مرّا فيها أمام الوجار الثاني.

كان جاك بوتشامب يجلس القرفصاء أمام الباب المصنوع من الشريط

المتشابك لوجار أحد الكلاب، وهو لابرادور أصفر اللون راح يرحب به جذلاً.

عادت ماتي على أعقابها متمهّلة، لتقف بالقرب منه. انفرجت أساريرها هي أيضاً، ما إن انحنت لتمسّد عنق «صوفي» قائلة بهدوء: «إنها كلبة رائعة، أليس كذلك؟».

فكلاب اللابرادور هي حيواناتها المفضّلة منذ زمن طويل.

ـ رائعة جداً، ولطيفة أيضاً.

استدار جاك بوتشامب نحو ماتي، وعلى وجهه ابتسامة عريضة. بدا سعيداً بالترحيب الذي أبدته كلبة اللابرادور نحوه، ما زاده سحراً وجاذبية.

شعرت ماتي كأن أنفاسها علقت في حنجرتها، لرؤيته يتصرف على سجيته، فيبدو في غاية الروعة والجاذبية. أم أنها تتصوّره كذلك؟.

قالت باقتضاب من بين أسنانها: «صوفي» تسرّ برؤية أي كان».

لاحظت على الفور أن تعليقها بدا جافاً، لكن الأوان كان قد فات. بالإضافة إلى أنها غضبت من نفسها لأنها تجد هذا الرجل جذّاباً. فتابعت تقول بتذمّر، أمام نظراته المتسائلة:

ـ توفي العجوز الذي كان يملكها منذ ثلاثة أشهر، ولم ترغب أسرته في استعادتها، لهذا السبب نحتفظ بها هنا.

لم تكن أمّها لتسمح لنفسها بالتخلّي عن حيوان معافى.. لهذا انتهى بهما الأمر إلى امتلاك أربعة كلاب، حتى هذه الساعة. كما أنّها لا يمكن أن تفكّر بإرسال «صوفي» إلى مأوى للكلاب، وذلك للسبب نفسه؛ «فصوفي» قد لا تجد مالكاً جديداً، وقد تواجه المصير نفسه.

في العادة، تبقى «صوفي» خارج الوجار، تدور حول والدة ماتي أينما تحركت داخل النزل. لكن بما أن السيدة كراوفورد كانت تنتظر زائراً ـ وها هو الآن هنا ـ فقد وضعت «صوفي» في وجارها لفترة ما بعد الظهر.

وقف جاك بوتشامب، وقال مقطّباً، فيما لا يزال يداعب صوفي خلف أذنها: «هذا رهيب!».

ـ نعم.

وافقته ماتي في ذلك على الأقل!

عادت إلى لهجتها العملية: «من هنا، لو سمحت.. سوف أريك الأماكن الفارغة، وهكذا يمكنك أن تختار المكان الذي سيمكث فيه.. «هاري»، إذا ما قرّرت وضعه عندنا خلال عطلة الأسبوع القادم».

لأمر ما، وبالرّغم من حاجة أمّها لتسيير أعمالها، تمنّت ماتي ألاّ يفعل. فهي قد وافقت على مساعدة أمّها خلال عطلة الفصح، ما يعني أنّ هناك احتمالاً كبيراً بأن تلتقي جاك بوتشامب مجدداً.

بعد دقائق معدودة، كان الرجل يجلس على مقعد في الغرفة المخصّصة للزوّار. فقال معترفاً:

ـ إنّه حقاً مكان مترفٌ.

ردّت ماتي: «الكلاب مخلوقات لطيفة ومخلصة. نحن نعتقد أنها تستحق الأفضل».

راحت العينان البنيّتان تراقبانها دون انفعال للحظات طويلة. وأخيراً، أجاب جاك بوتشامب قائلاً: «أوافقك الرأي. سوف يحب «هاري» المكوث هنا».

ثم أضاف قائلاً: «ربما تستغربين الأمر، لكنّ «هاري» يعيش معي منذ كان جرواً صغيراً؛ وهو يبلغ اليوم السادسة من عمره، ولم يبتعد عني ولو مرّة واحدة ليمكث في وجار من قبل».

رقّت مشاعر ماتي. فهي قد نشأت محاطة بالحيوانات، وتشعر بضعف تجاهها مثل أمّها تماماً. ولم يساورها الشك مطلقاً بأن جاك بوتشامب يهتم كثيراً لأمر كلبه. لكنّها أكّدت له: «أنا متأكّدة بأنّه سيكون بخير معنا هنا».

في طريق العودة انحنى جاك بوتشامب بالقرب من «صوفي» وراح يلاطفها من جديد.

ـ دعني أرافقك إلى الخارج لترى الأماكن الفسيحة التي يمكن للكلاب أن تلعب فيها.

أقفلت ماتي الأبواب خلفهما بعناية، فيما كانا يخرجان إلى الهواء الطلق، وسارعت لتضيف: «مع أنّنا نخصّص لكل كلب أيضاً نزهة طويلة كل يوم».

ومرّة أخرى، ابتسم لها جاك بوتشامب تلك الابتسامة العريضة اللطيفة: «يبدو هذا النزل مريحاً أكثر من بعض الفنادق المخصّصة للبشر!».

اعترفت ماتي بكآبة: «نعم».

انعقد حاجباه الداكنان، وسألها فيما هما عائدان نحو المكتب الرئيسي:

ـ هل تقومان، أنت وأمك بالعمل وحدكما، أم أنّ هناك من يساعدكما؟

أجابت ماتي بطريقة مراوغة: «هناك من يساعدنا. لكن لا بد أنك توافقني على أنّه مكان جميل».

وهكذا غيّرت الموضوع بطريقة متعمّدة. ففي الواقع، لا شأن لهذا الرجل، سواء كانت تساعد أمّها في عملها بصورة دائمة أم لا. كما أن المكان جميل فعلاً! فهو يقع على بعد أميال قليلة فقط من لندن، ومع ذلك، فهو محاط بالمناطق الريفية. كما أنّ حديقته الخاصة الواسعة تزدان هذه الأيام بأزهار الربيع.

تمتم الرجل موافقاً: «نعم، إنّه جميل حقاً».

استدارت ماتي لتنظر إليه، فعلقت أنفاسها في حنجرتها حين أدركت أن جاك بوتشامب لم يكن ينظر إلى الحديقة بل إليها!

حسناً!.

شعرت بالامتعاض، إلاّ أنّها قالت بسرعة فيما هما يدخلان من جديد إلى المكتب: «سوف أدعك الآن لتناقش التفاصيل مع أمّي، فيما يتعلق بإقامة كلبك هنا».

نظرت والدة ماتي إليها مبتسمة، وعلى الفور، زالت لمحة القلق من نظراتها، إثر إيماءة خفيفة تكاد لا ترى من ماتي، أنبأتها أن الأمور سارت على ما يرام. ابتسمت الأمّ بحرارة: «آمل أن يكون النزل قد أعجبك، سيد

بوتشامب».

ومرّة أخرى التفتت ماتي لتجد أنه ينظر إليها لا إلى أمّها. لقد فعلها ثانية.

وسمعته يقول لأمّها: «نادني جاك، أرجوك».

بدا واضحاً أن الأمّ لا تشعر بالارتباك الذي تشعر به ماتي بسبب طغيان جاذبيّة هذا الرجل، فأردفت بسرعة: «ديانا».

من المؤكد أن والدة ماتي أكبر من جاك بوتشامب بحوالى عشر سنوات، فيما تصغره ماتي بعشر سنوات. ومع ذلك، فإن ديانا لا تزال امرأة جذّابة، كما أنّها عاشت كأرملة لفترة طويلة من الزمن. ولطالما صرحت بأنها أحبّت والد ماتي كثيراً، إلى درجة جعلتها لا تقبل الارتباط بعلاقة حب أخرى بعد موته، وذلك الأمر كان معروفاً للجميع. لكن أيّ امرأة يمكنها تجاهل سحر جاك بوتشامب وجاذبيته؟

راحت ديانا تتابع الحديث عن نزل الكلاب الذي تملكه، باحتراف مهني: «كيف علمت بالتحديد بأمر «وفدورف»، جاك؟ أنا أهتم دوماً بمعرفة هذه الأمور. هل نصحك به أحدهم أم أنك رأيت أحد إعلاناتنا؟...».

ـ في الواقع، وجدت صدفة عدداً من بطاقاتكم موضوعاً على مكتبي. لا أدري كيف وصلت إلى هناك.

فجأة ركّزت ماتي انتباهها على مجموعة من الصور التي تزين أحد جدران المكتب، آملة بأن لا يلاحظ أحد منهما قلقها المفاجىء.

اعترف جاك بوتشامب بحرارة: «لا شك بأنها صدفة جيّدة».

فوافقته ديانا: «نعم، بالتأكيد».

وفكّرت في سرّها أن هذه الفرصة جيّدة لهما ـ هي وماتي ـ أكثر مما هي كذلك بالنسبة لجاك بوتشامب.

أومأ جاك بوتشامب قائلاً: «شرحت لابنتك منذ قليل أن «هاري» لم يمكث قبل الآن مطلقاً في نزل للكلاب.. حتى لو كان فخماً كهذا النزل.

إلاّ أنّني مضطر للذهاب إلى باريس خلال عطلة الأسبوع المقبل. وبما أن كل أفراد الأسرة سيسافرون إلى هناك أيضاً، فلن يبقى في المنزل من يمكنني الاعتماد عليه لرعاية «هاري»، كما أفعل عادة عندما أضطر للسفر».

وعلا العبوس وجهه وهو يكمل: «أعتقد أنني.. ربما كنت أؤجل دوماً إيداع «هاري» في نزل للكلاب، لأنني لا أرغب حقاً في ذلك..».

أسرة؟ لديه أسرة؟ أيكون هذا الرجل متزوجاً أيضاً؟

قالت ديانا بلطف: «يشعر الجميع بذلك في المرّة الأولى. لكنّني أؤكّد لك بأنّنا سنهتم بـ «هاري» جيّداً، إذا ما..».

شعرت ماتي برغبة ملحّة للابتعاد عن هذا الرجل المثير، فقاطعت أمّها بصورة فظة: «أرجو أن تعذراني، كلاكما. فأنا... أنا مضطرة حقاً للذهاب و... حسناً، عليّ أن أقوم ببعض الأعمال».

أنهت جملتها واستدارت لتغادر الغرفة، إلاّ أنّ جاك بوتشامب كان لا يزال واقفاً في منتصف الطريق نحو الباب منذ أن دخلا معاً. وها هو الآن يسدّ عليها طريق الخروج. قال بهدوء: «سررت بمعرفتك آنسة كراوفورد. أشكرك لمرافقتك لي في هذه الجولة».

نظرت إليه ماتي بعينين متّسعتين: «وأنا أيضاً، سيد بوتشامب».

ثم استدارت بطريقة مهذّبة.. إن لم نقل متكلفة. فقد بدا واضحاً أنّ جاك بوتشامب لم يمنحها الامتياز الذي خصّ به والدتها، بأن تناديه باسمه الأوّل! لكنّها شعرت بالارتياح لذلك.. ولربما شعرت بالصدمة لو أنه طلب منها مناداته بجاك.

ابتسم جاك بوتشامب، فيما بدت التسلية واضحة في أعماق تينك العينين البنّيتين... وأخيراً، قال بنعومة: «أرجو أن نلتقي مرّة أخرى».

وعلى العكس منه تماماً، لم تكن ماتي تتمنّى حصول ذلك. لكن نظراً للظروف الحالية، كانت تعلم أنّ أمنيتها صعبة التحقيق. ردّت بسرعة:

ـ ربما في عطلة الأسبوع المقبل... إذا قرّرت إحضار «هاري» ليمكث لدينا. والآن، لو سمحت لي...

وجّهت إليه نظرات حادّة، لأنّه يقطع عليها طريق الخروج. فتنحّى جانباً: «بكل تأكيد».

لم تتمكن ماتي من الخروج بسرعة من الغرفة، فقد شعرت بأن صدرها يكاد ينفجر بسبب النقص في الأوكسجين. وكلّ ذلك بسبب جاك بوتشامب!

حسناً، إنه في منتهى الوسامة، وهي تقرّ له بذلك، كما أنه ساحر أيضاً، إذا ما تجاهلت تحديقه المستمرّ بها. ويبدو أن أمّها أعجبت به أيضاً. لكن أمها تعجب وتثق تقريباً بأيّ كان.

كيف كان لماتي أن تتكهّن أن وضعها لبطاقات تحمل اسم «وفدورف» في عدد من المكاتب في شركة «ج. ب»، سوف يؤدّي إلى قدوم صاحب الشركة بنفسه لإيداع كلبه لديهم خلال عطلة الفصح؟ لم تجد جواباً واضحاً على تساؤلها هذا. لكنّها، بالتأكيد، ستضطر إلى تقديم بعض التفسيرات لوالدتها، ما إن يغادر جاك بوتشامب مكتبها!

إن الرجل الذي وصفته بـ «زير النساء» وبـ «خنزير قذر» عندما كانت تتحدث إلى أمّها قبل قدوم جاك بوتشامب إلى المكتب، والذي قال عنه هذا الأخير، بسخرية واضحة، إنه يستحق أن يرمى في الشارع، ويجلد على مرأى من الناس، لم يكن سوى جاك بوتشامب نفسه!

* * *

٢ ـ نعم، هذا ما أريده

ـ يا له من رجل رائع!

هذا ما قالته والدة ماتي في وقت لاحق، فيما هي تستدير بعد أن لوّحت لجاك بوتشامب مودّعة. وبعد أن راقبته وهو يقود سيارته الرياضية الحمراء اللون مبتعداً.

لكن ماتي لديها أسباباً وجيهة لتفكّر فيه بطريقة أخرى مختلفة. ومع أنّها لم تشأ أن تفسد على أمها فرحتها بهذا الزبون «الرائع»، إلاّ أنها مضطرة لأنّ تصارحها بتلك الأسباب التي تمنعها من إبداء الإعجاب به.

أضافت ديانا بحرارة: «كم هو عفوي ولطيف. فبالرغم من ثرائه الهائل، لا يبدو عليه التكبّر أو الغطرسة مطلقاً. على أيّ حال، سوف يترك كلبه عندنا خلال عطلة الفصح وذلك لمدّة أربعة أيّام. هكذا تصبح كلّ الأماكن لدينا محجوزة للفترة القادمة. لكن عليّ أن أعترف.. ماتي، ما الأمر؟».

انتبهت ديانا فجأة إلى التعبير الذي ظهر على وجه ابنتها، والذي بدا أقلّ حماسة.

من المنطقي أن تشعر ماتي بكلّ هذا السوء، فهي منذ ساعة فقط كانت تنعت هذا الرجل «الرائع» نفسه بأوصاف مختلفة تماماً أثناء حديثها مع أمّها. ومع أنّها الآن لم تتراجع قيد أنملة عن أي كلمة سيئة ذكرتها عن جاك بوتشامب إلاّ أنّها تدرك بأنّ عليها أن تطلع أمّها على حقيقة هويّته.

أخذت نفساً عميقاً: «لم تكن لديّ فكرة، فأنت لفظت اسم بوتشامب

كأنه بيتشام».

ثم أكملت تقول ببطء: «لو أنني كنت أعرف.. أنا.. حسناً..».

ما الفرق لو أنّها كانت تعرف؟ فحتى لو لفظت أمّها الاسم بطريقة صحيحة فإنه سيبقى ذلك الرجل الذي وصفته بأبشع الأوصاف. فلا يقتصر الأمر على أنّه يخرج مع أربع نساء، وإنّما تبيّن أنه متزوّج ولديه أسرة أيضاً!

قطّبت أمّها ونظرت إليها بارتياب، ثم قالت تحثّها على الكلام: «ماتي.. ماتي ما هي الحماقة التي ارتكبتها؟».

ردّدت ماتي: «حماقة؟».

جاء صوتها أعلى قليلاً مما هو في العادة، لكنّها ما لبثت أن استعادت نبرة صوتها العادية لتقول: «ما الذي يجعلك تفكرين بأنني ارتكبت حماقة؟».

ومع ذلك، تعلم ماتي أن إخفاء الأمر عن أمّها ليس بالأمر السهل، فلا بد لها من إطلاعها على كل شيء.

أجابت أمّها وقد بدا عليها القلق: «لأنني أعرفك جيداً، ماتي. فما أن تتخلّصي من ورطة حتى تقعي في أخرى.. هكذا أنت طوال حياتك».

ثم تابعت تسألها ببطء: «ما الفرق لديك إذا تمّ لفظ اسم جاك بوتشامب بطريقة أو بأخرى؟».

إنّه لفرق كبير! فماتي قرأت هذا الصباح في دفتر مواعيد أمها اسم جاك بيتشام. فلم تقم بالربط بينه وبين اسم جوناثان بوتشامب صاحب مصانع «ج. ب»، ويبدو أن أمّها دونت الاسم كما سمعته عبر الهاتف.

أومأت ماتي فيما بدت على وجهها إمارات الأسى: «لا فرق لديّ.. حقاً، لكن.. أوه، أمّي، أنت على حق. لقد ارتكبت حماقة فظيعة!».

وعندما يكتشف جاك بوتشامب ما فعلته بالضبط، فإنه لن يفكّر بإحضار كلبه إلى النزل لدى أمّها على الإطلاق.

لقد تعوّدت أمّ ماتي على تصرفات ابنتها المتهوّرة، التي يليها دوماً إحساس بالندم والأسف من قبل ماتي. فقالت تستحثّها برفق: «أتودّين التحدّث عن الموضوع؟».

إنّ آخر ما ترغب به ماتي هو التحدّث عن هذا الموضوع! لكنها لا تملك الخيار في ذلك. أومأت بتثاقل: «أعتقد أن عليّ أن أفعل ذلك».

ـ هل يتطلب الأمر فنجاناً من القهوة أم كوباً من الشوكولا الساخنة؟.

اعتادت الأم وابنتها منذ سنوات، على تناول القهوة خلال جلسات المكاشفة بينهما، إذا كانت الحماقة التي ارتكبتها ماتي بسيطة. والشوكولا الساخنة إذا ما كانت الحماقة خطيرة.

بدت ملامح ماتي بائسة حين قالت: «لأكون صادقة، أظن أن الأمر يتطلّب هذه المرّة أكثر من ذلك بكثير».

ارتفع حاجبا ديانا الأشقران حتى كادا يصلان إلى منابت شعرها؛ إنّ أياً من اعترافات ماتي لم يتطلب أكثر من كوب من الشوكولا من قبل! مع أنّ هذا النوع من المواقف كان يمرّ باستمرار في حياتهما. فماتي تقوم بالتصرف ثم تفكّر بعواقبه فيما بعد، لذا فهي تقوم بالكثير من التصرفات المتهوّرة.

قرّرت الأم بجديّة: «من الأفضل إذاً أن نذهب إلى المنزل».

تبعت ماتي أمّها على مضض، مدركة أنّ الدقائق القادمة لن تكون ممتعة لها على الإطلاق. معترفة في سرّها بأنّ أمّها كانت على حق في ظنونها بشأن إطلاقها للأحكام اللاّذعة، عندما كانت تحدّثها عن جاك بوتشامب. وأنّ السبب في ذلك قد يعود إلى السّخط الذي شعرت به حين خدعها ريتشارد بعلاقته المزدوجة. معها ومع المرأة التي قرّر الزواج بها في الوقت نفسه.

ذلك لا يعني أن رأيها بجاك بوتشامب قد تغيّر. أبداً! لكن ربما لم تكن لتقوم بما قامت به لو أنّها لم تعش تلك التجربة المهينة في علاقتها مع ريتشارد.

أعدّت ديانا كوبين من الشاي لها ولابنتها. وجلست المرأتان إلى طاولة المطبخ الذي يبدو مريحاً بالرغم من الفوضى التي تعمّه، فيما راحت كلابهما الأربعة تدور بحبور حول أقدامهما. مضت دقائق عدّة وماتي تحدّق بكآبة في كوبها. فقالت أمّها تستحثّها: «حسناً، ماتيلدا ـ ماي. ما الأمر؟».

أجفلت ماتي لاستخدام أمّها لاسمها الكامل، وقالت معترضة:

«أرجوك أمّي، لا تناديني بهذا الاسم. في الواقع، ما كان عليكما أنت وأبي، أن تسمياني به أصلاً. لأن اسم أمّك كان ماتيلدا واسم أمّه كان ماي، لا يبرّر...»

قاطعتها أمّها بحدّة: «ماتي، يمكنك المماطلة بقدر ما تشائين. لكن عليكِ في النهاية أن تخبريني بما فعلته».

ابتلعت ماتي ريقها بصعوبة، ثم أطلقت تنهيدة طويلة:

ـ هل تذكرين «زير النساء» الذي حدّثتك عنه؟.

ـ زير الـ... أوه، أتعنين ذلك الرجل الذي يخرج مع أربع صديقات؟

أكّدت ماتي بارتباك: «أجل. حسناً، جاك بوتشامب هو جوناثان بوتشامب نفسه!».

ثم أضافت كارهة: «إنه هو... أعني زير النساء. ما أقصد أن أقوله...».

أكّدت أمّها بجفاء: «أظنّ أنّني فهمت قصدك، ماتي. إنه الرجل نفسه الذي كنت تتحدثين عنه بغضب أليس كذلك؟ ذاك الذي اتصلت بك سكرتيرته لكي ترسلي أربع باقات من الأزهار باسمه لصديقاته؟

كيف أمكنها أن تكون غبية بهذا الشكل، وعديمة المسؤولية أيضاً، فيما هي تظنّ نفسها بارعة وذكية؟ والآن، بعد أن التقت بجاك بوتشامب، لا تدري ما سيكون ردّ فعله على ما قامت به، مع أنّه يمكنها أن تتصوّر ذلك إلى حدٍّ ما.

فكّرت أن ردّ فعله قد يؤثر على عملها في متجر الأزهار، وعلى بعض العقود التي تسمح لها بتزويد نصف دزينة من الشركات الكبرى بالأزهار، والتي تعدّ شركة «ج. ب» واحدة منها. فجاك بوتشامب هو صاحب هذه الشركة الأخيرة. إذا ما قرّر أن يردّ بقسوة على ما فعلته به، قد تخسر كلّ هذه العقود التي تبقي متجر الأزهار مزدهراً! أما بالنسبة لمسألة إيداع كلبه لدى أمّها في النزل...!

أكّدت ماتي بفتور: «نعم».

نظرت إليها أمّها والحيرة بادية على وجهها: «لكنّك قمت بتنفيذ ما طلب منك، أليس كذلك؟».

وافقت ماتي وهي تكمل موضحة ما فعلته بالضبط: «أوه، نعم قمت بما طلب مني أن أفعله.. أتعلمين؟ لقد أرسلت أربع باقات من الأزهار لأولئك الصديقات لمناسبة عيد الميلاد...».

استنتجت الأم: «ممّا يعني أنه ما يزال على علاقة مع النساء الأربع أنفسهنّ منذ أربعة أشهر على الأقلّ».

تابعت ماتي كارهة: «المسألة هي.. طلبت مني سكرتيرته ذلك، وكان هو قد أرسل أربع بطاقات لأرفقها مع الباقات الأربع. وأنا.. أمّي.. أنا قمت بتبديل البطاقات!».

شعرت ماتي بالذنب، بعد أن أدركت بوضوح ما الذي اقترفته.

إنها في الثالثة والعشرين من عمرها، ومن المفترض أنها تجاوزت السنّ الذي تقوم فيه بتلك الحماقات!.

راحت تدافع عن نفسها أمام نظرات أمها المذهولة باعترافها هذا:

ـ لم يكن في البطاقات شيء مميّز. بل كتب عليها: «إلى ساندي مع حبّي، ج»، «إلى تينا مع حبّي، ج»، «إلى سالي مع حبّي، ج»و «إلى كولي مع حبّي، ج»، وأنا.. حسناً، فكرت بأنّ كلاً منهنّ يجب أن تعلم بشأن الأخريات. فوضعت البطاقة التي تخصّ تينا في الباقة المرسلة إلى كولي، والبطاقة التي تخصّ ساندي في الباقة المرسلة إلى تينا، والبطاقة التي تخصّ سالي في الباقة المرسلة إلى ساندي، والبطاقة التي تخصّ كولي في الباقة المرسلة إلى سالي. أعلم أنّ ما قمت به كان تصرفاً غبياً، لكن.. أمّي، ما بك، هل تبكين؟.

راحت ماتي تنظر عبر الطاولة إلى والدتها بقلق بالغ. كانت أمّها تغطي وجهها بكلتي يديها، فيما كتفاها تهتزّان بانفعال واضح.

ـ سأذهب إليه، وأشرح له ما قمت به. سأقول له...

توقفت فجأة عن متابعة كلامها، حين أبعدت أمّها يديها عن وجهها

لتنظر إليها. اتسعت عينا ماتي من الحيرة عندما أدركت أن أمّها كانت تضحك ولم تكن تبكي!

هزّت ديانا رأسها وهي تكاد تختنق من شدّة الضحك: «أوه، ماتي، ماتي، عليك بالتأكيد أن تذهبي إليه وتشرحي له الأمر. لكن المشكلة هي كيف ستقولين له ذلك».

ثم أكملت برزانة: «تذكّرت ما فعلته بريتشارد لتنتقمي منه، كان ذلك كارثة حقيقية. يومها توقّعت أن تأتي العروس صباح يوم العرس لتطلب منك تفسيراً للأمر، لكن ما فعلته اليوم..!».

احتجّت ماتي: «كوني منصفة، أمّي. ما حصل مع ريتشارد لم يكن غلطتي أنا بالتحديد. لم أكن أعلم يومها أنه أعلن خطبته فعلاً».

وافقتها أمّها مبدية العطف نحوها: «أجل، لكن كان عليك أن تتوقعي ذلك. على كلّ حال، التصرف المتهوّر الذي قمت به مؤخراً هو ورطة أكبر بكثير».

وراحت ديانا تهزّ رأسها غير قادرة على التوقف عن الضحك.

ورطة أكبر بكثير؟ فكّرت ماتي أنّها لن تحاول بعد اليوم التدخل في حياة الآخرين مطلقاً. ولدى رؤيتها أنّ ديانا لا تستطيع التوقف عن الضحك، وأنّها لا زالت تضحك ضحكة خافتة، نظرت إليها بعتب: «أمّي، الأمر ليس مضحكاً».

وافقت أمّها: «كلا، إنّه ليس كذلك».

فيما كانت دموعها تتساقط على خدّيها لشدة الضحك.

ـ إذاً، أرجوك أن تكفّي عن الضحك.

قالت ماتي ذلك فيما كانت تمنع نفسها من الضحك هي أيضاً وأكملت تقول: «سوف يقتلني بسبب ما فعلته. أو يعلقني من إبهام قدمي، أو ربما يشنقني على أقرب شجرة.».

علقت أمها على قولها وهي تمسح الدموع عن خديها بواسطة منديل ورقيّ، قبل أن تعطي علبة المناديل الورقية لماتي: «آه، عزيزتي. إذا ما قام

بقتلك فإنّه لن يضطر لإزعاج نفسه بأن يعلّقك من إبهام قدمك أو يشنقك على أيّ شجرة».

غمغمت ماتي قائلة: «يبدو لي أنه من النوع الذي يقوم بها جميعاً، وذلك من أجل أن يتمتع بتعذيبي فقط!».

ونفخت أنفها بقوة في أحد المناديل الورقية، فيما لم تعد واثقة إذا ما كانت ترغب بالضحك أو بالبكاء على نفسها. فجاك بوتشامب يمكنه أن يدمّر حياتها إذاما أراد ذلك!

كشّرت ديانا: «إذا كان هناك من تعزية، ماتي. فهي أنّ جاك بوتشامب لم يكن يحمل أيّ رضوض أو جروح سبّبتها إحدى صديقاته الغاضبات، عندما زارنا بعد ظهر هذا اليوم».

ردّت ماتي بتثاقل: «أنت على حق».

وأقرّت في سرّها أنها كانت ستشعر بأنّها أفضل حالاً لو أن عملها المتهوّر أدّى إلى نتيجة ما. فلو أنّ إحدى تلك النساء قامت بردّ فعل غاضب لشعرت أن لعملها ما يبرّره. إلاّ أنّها أقرّت أخيراً: «أكره فكرة الذهاب إلى ذلك الرجل لإخباره بما فعلته».

أومأت أمّها: «بعد أن تعرّفت إلى جاك بوتشامب، أنا أفهمك جيداً. لكن يساورني شعور بأنّك إذا لم تذهبي إليه بنفسك، فسوف يأتي هو إلى محل بيع الأزهار لرؤيتك في مطلق الأحوال».

وساور ماتي الشعور نفسه. وبدا لها من الأفضل أن تأخذ المبادرة بالتحدّث إليه بدلاً من أن تضطر للدفاع عن نفسها عندما يواجهها بنفسه. إضافة إلى ذلك، فإنّ الأمر لا يتعلق بها وحدها، بل إنّه سيمسّ عمل أمّها أيضاً، إذا ما قرّر جاك بوتشامب عدم إحضار كلبه لإيوائه لديها في النزل خلال عطلة الفصح. تلك العطلة التي سيذهب فيها إلى باريس برفقه أسرته.

أسرته...

قد لا تكون مضطرّة لأن تنحني أمامه لتقدّم اعتذارها. ففي النهاية، إذا

كان جاك بوتشامب متزوّجاً ولديه أسرة، ما كان يجدر به أن يرسل باقات من الأزهار إلى نساء أخريات!

أملت ماتي أن يكون ذلك صحيحاً. فربما أمكنها في هذه الحالة أن تنقذ سمعتها المهنية. في النهاية لن يتمكن جاك بوتشامب من إثارة الكثير من الفوضى فيما يتعلق بالخطأ الذي حصل بالنسبة للبطاقات دون أن يسبب لنفسه المتاعب داخل أسرته.

إلا أنّها، في اليوم التالي، بدت أقل ثقة بنفسها، وهي تواجه جاك بوتشامب في مكتبه الأنيق وهو يجلس وراء طاولة المكتب الكبيرة والبالغة الفخامة.

ظلّت ماتي قلقة طيلة المساء، كما أنّ نومها لم يكن مريحاً خلال الليل، وهي تتخيّل أنّ إحدى نسائه على الأقل قامت بالاتصال به لتخبره عن الخطأ الذي ارتكبته ماتي بالنسبة للبطاقات.

عند الصباح، وفيما هما تتناولان طعام الإفطار، راحت ديانا تنظر إلى ابنتها فلاحظت منذ النظرة الأولى تلك الأجفان المثقلة بسبب الأرق، كما لاحظت نظراتها المتوتّرة ووجهها الشاحب. ومن دون أن تنطق بكلمة، ناولتها كوب القهوة، وخرجت لكي تطعم الكلاب التي تستضيفها في النزل. شعرت ماتي بالارتياح بسبب التزام أمّها الصمت خلال تناولهما طعام الإفطار، ذلك أنّها لم تكن في مزاج يسمح لها بتبادل الحديث. وكلّ ما كان يشغل بالها هو تلك المهمّة التي يجب عليها القيام بها دون تأجيل.

رؤيتها لجاك بوتشامب وهو يرتدي بذلة رسمية داكنة اللون مع قميص عاجي اللون وربطة عنق أنيقة، لم تسهّل عليها الأمر. فقد بدا مختلفاً تماماً عن ذلك الرجل الذي رأته بالأمس في مكتب أمّها. لكنّه بدا هادئاً تماماً... ولم يدل مظهره على أنّه يعاني من أيّ مشاكل في حياته الشخصية.

حسناً! أخذت ماتي نفساً عميقاً لكي تشجع نفسها على البدء بالحديث. عليها أن تقول شيئاً، فتأخير المواجهة لن يسهّل الأمر على الإطلاق.

ـ سيد بوتشامب..

ـ نادني جاك.

كان جاك بوتشامب يجلس مسنداً ظهره إلى كرسي مريح من الجلد خلف مكتبه الأنيق، وهو ينظر إلى ماتي نظرة تقييمية. وفكرت ماتي في سرها، لَمَ لم يبد لطيفاً بالأمس؟ ربّما لم يكن هذا الأمر ليجعل اعترافها اليوم أسهل. لكن بالتأكيد، كان سيوفر عليها بعض هذا الإحراج.

انحنى جاك بوتشامب إلى الأمام ليريح ذراعيه على المكتب: «أخبرتني سكرتيرتي بأنّ أوّل شيء قلته لها عندما اتصلت هذا الصباح، هو إنّ الأمر طارىء ولا يحتمل التأجيل».

بالطبع، لقد قالت ماتي بأنّ الأمر طارىء لأنّها كانت بحاجة لأن تراه.. بعد ذلك أخبرت كليرتوماس عن اسمها، فقد كانت هذه الطريقة الوحيدة التي ستجعل المرأة الأخرى توافق على تخصيص موعد لها مع جاك بوتشامب لمدة عشر دقائق وذلك قبل موعد الغداء. مع أنّها حذّرتها بأن جاك بوتشامب لديه موعد في تمام الساعة الواحدة. والآن، بما أنه ليس لديها سوى عشر دقائق فقط، من الأفضل لها أن تنتهي من هذه المسألة.

قطّب جاك بوتشامب: «هل هناك مشكلة تمنعكم من استقبال «هاري» في عطلة الفصح؟».

سارعت ماتي بالنفي: «ليس على حدّ علمي... أنا لست هنا بصفتي مساعدة لأمّي».

ارتفع حاجبا جاك بوتشامب فوق عينيه البنيتين الداكنتين، وظهر الترقّب على تعابير وجهه: «ماذا إذاً؟».

استعادت عيناه ذلك الدفء الذي كان يسكنهما بالأمس، وقال: «لِمَ إذاً أردت رؤيتي بهذه السرعة؟».

تعمّدت ماتي أن ترتدي ثياباً تجعلها تبدو امرأة عمليّة، وهي عبارة عن بذلة ذات لون أزرق داكن، تحتها بلوزة بلون أزرق شاحب. على أمل أن يعطيها مظهرها هذا الدفعة التي تحتاجها من الثقة، لكي تتمكّن من إخباره بشأن التبديل الذي حصل في البطاقات. لكن ما إن أحسّت بالعرق ينضح

من راحتيها، حتى انتابها خوف داخلي جعلها تودّ الهروب من ذلك المكان بسرعة قصوى. فقد أدركت أن محاولتها لإظهار الثقة بالنفس قد باءت بالفشل، وما لبثت أن قالت عابسة: «في الواقع، أنا في الوقت الحالي لا أعمل في نزل الكلاب، سيد... جاك».

عدّلت في جلستها، مذكّرة نفسها بأن عليها أن تحاول إظهار اللطف بقدر إمكانها. فمن يدري؟ من المحتمل أن ينظر الرجل إلى الجانب المضحك في الأمر. وعلى الفور شدّدت من عزيمتها. ألم تكن هي لتأخذ هذا الجانب لو كانت الظروف نفسها؟ كلاّ، بكلّ تأكيد.. فهي في الدرجة الأولى، لن تضع نفسها على الإطلاق في مثل هذه الظروف. لكن.. ألم تقع مرّة ـ ولو عن غير قصد منها ـ في ظروف مشابهة، خلال علاقتها بريتشارد؟

راح جاك بوتشامب يتأمّلها بدقّة: «لا تعملين هناك؟ ما هو عملك بالضبط ماتي؟».

ـ أنا أعمل من أجلك... حسناً، ليس هذا بالضّبط. أعني أنّك أنت أحد زبائني، و....

قاطعها جاك: «ماتي، هل يمكنك التوقف، والعودة قليلاً إلى الوراء؟».

تسللت التسلية من تينك العينين البنيّتين وحول ذلك الفم المنحوت بدقّة: «من الأفضل أن تخبريني ما هي مهنتك، قبل أن يذهب بي التفكير في مسارات خاطئة».

ماذا يعني بقوله هذا؟ ما الذي يتخيّله بالتحديد...؟.

أجابته ماتي ببرودة: «أنا بائعة أزهار، سيد بوتشامب».

وقبل أن يذهب به التفكير بعيداً، تابعت تقول وهي تتوقّع تماماً ما الذي يمكن أن يتخيّله بشأن هذه المهنة: «أنا صاحبة متجر «الأزهار النضرة».

أحسّت بالفراغ يملأ رأسها، وجفّ حلقها ما إن رأت التعبير الواضح الذي بدا على وجهه.. ذلك الوجه الذي اكتسب فجأة لوناً داكناً كأنه...

فجأة، كما لو أنّه وجد حلاً للغز كان يحيّره، قال جاك بوتشامب ببطء:

ـ آه، في هذه الحالة، أظنّ أن هناك علاقة ما بين الأمر الطارىء الذي جعلك تودّين رؤيتي، والخطأ الذي حصل في إرسال البطاقات مع باقات الأزهار التي أرسلت بطلبها في نهاية الأسبوع.. أليس كذلك؟.

على الأقلّ، واحدة من أولئك النساء اتصلت به لتخبره عن الأمر!

ثم أكمل: «كنت سأتّصل بك بنفسي في وقت لاحق من هذا اليوم».

فقدت نظراته ذات اللون البني كلون الشوكولا ذلك الدفء الذي كان يميّزهما. بل في الواقع، بدا تعبير وجهه فجأة غامضاً وغير واضح. اعترفت ماتي بسرعة: «ساورني شعور بأنّك ستفعل ذلك».

قال يحثها، بصوت ناعم كالحرير: «وفكّرت أنّك بمجيئك إلى هنا تسهّلين على نفسك الأمر».

أكّدت ماتي بحدّة: «أجل. كما ترى، أنا.. كنت أراجع بعض الأوراق مساء أمس، عندما اكتشفت أنني ارتكبت خطأ فادحاً».

ـ حقاً؟

قام عن كرسيه ليستدير حول المكتب بسرعة فاجأتها: «في أي وقت بالتحديد من مساء أمس اكتشفت هذا الخطأ؟».

مع أنها كانت تنتعل حذاء ذا كعب عالٍ، إلاّ أنها اضطرت إلى ارجاع رأسها إلى الخلف لتتمكن من النظر إلى وجهه. ولم يعجبها ذلك مطلقاً! بدا قريباً جداً منها، ولم تكن لديها فكرة عن مزاجه في تلك اللحظة. مع أنها كانت متأكّدة أنّه ليس جيداً على الإطلاق. خاصة بعد الفوضى التي سببتها له في حياته الخاصّة.

ـ أخبرتك أن ذلك حصل مساء أمس. أنا حقاً آسفة...

ألقى جاك نظرة سريعة على ساعة يده، وإذا به يقاطعها: «ماتي، حديثنا هذا مثير للاهتمام دون شك، فهل يمكننا متابعته هذه الليلة على العشاء؟ فكما تعلمين لدي موعد غداء بعد دقيقتين من الآن، و...».

ردّت باندفاع: «كلاّ، لا يمكننا أن نكمل هذا الحديث.. أو أيّ شيء آخر.. أثناء العشاء!».

في الواقع، لم تستطع ماتي أن تصدّق أنه يطلب منها ذلك حقاً!

رفع حاجبيه الداكنين: «كلا؟».

أكّدت ماتي بحدّة: «كلا!».

فعاد يسألها بالحاح: «ولم لا؟».

توهّجت عينا ماتي الزرقاوان، وراحت تذكّره بقوّة: «السبب الأوّل.. أنت رجل متزوّج! أما الثاني، فهو.. أن لديك على الأقل أربع صديقات على حدّ علمي!».

بعد أن تفوّهت بذلك، شعرت ماتي أنّ ما اقترفته من خطأ في تبديل البطاقات لهو أهون بكثير ممّا فعلته للتو! مع أنّ فعلتها السابقة ظلّت تؤرقها طيلة الليلة الماضية. لكن ما الذي كان بإمكانها أن تقوم به فيما هذا الرجل يفكّر في الوقت الحالي بأن يضمها إلى مجموعة النساء اللواتي يخرج معهن؟

التفتت ماتي إليه، لكنها سرعان ما حوّلت نظرها في الاتجاه الآخر، ما أن أدركت أنّه يقف بقربها تماماً. وفكّرت أنّ المكتب أصبح وراءها وجاك بوتشامب أمامها، فلا مجال لأن تهرب إذا ما اضطرت لذلك..

ـ جاك؟ أتراني جئت مبكرة عن موعد الغداء؟

أجفلت ماتي لدى سماعها صوتاً أنثوياً يقتحم المكتب، وأدركت في الوقت نفسه أنّها وجاك بوتشامب كانا قد ركّزا انتباههما على بعضهما البعض، إلى درجة أنّ أيّ منهما لم يسمع المرأة الأخرى وهي تفتح الباب.

ضاقت عينا جاك بوتشامب وهو يلقي نظرة سريعة على ماتي، قبل أن يتراجع إلى الوراء مبتعداً عنها. التوى فمه بابتسامة فيما هو يستدير ليرحّب بالمرأة الأخرى، مؤكّداً لها برقّة: «أبداً، عزيزتي. فأنا وماتي أنهينا لتوّنا ترتيباتنا بالنسبة لهذا المساء».

أضاف جملته الأخيرة وهو ينظر باتجاه ماتي. لكن ماتي لم تبالِ بنظرته تلك، وإنما كان انتباهها مركّزاً على المرأة الطويلة القامة التي دخلت للتو إلى المكتب. بدت المرأة جميلة، بشعرها الكثيف الرائع الذي يتماوج فوق كتفيها، وعينيها الزرقاوين اللتين تشعّان بالصحّة والحيويّة، وماكياجها

الخفيف الذي يظهر جمال وجهها. كانت ترتدي فستاناً أزرق منسجماً تماماً مع لون عينيها، تدل أناقته على أنه غالي الثمن. وقد بدت ساقاها طويلتين وناعمتين كالحرير، أما قدماها فقد بدتا صغيرتين ورقيقتين في صندالها الأسود ذي الشرائط.

أمسك جاك بوتشامب ذراعها بقوّة وجذبها نحوه لتقف إلى جانبه: «ماتي، دعيني أعرّفك على أختي، ألكسندرا».

أخته؟ هل يتوقّع منها أن تصدّقه؟

ألقت المرأة الأخرى نظرة استفهام نحو جاك بوتشامب، قبل أن تستدير نحو ماتي: «يسرّني التعرف إليك، ماتي».

وابتسمت لها برقّة ثم قالت بنبرة جذّابة: «آسفة إذا كنت قد قاطعتكما، كلير لم تكن في مكتبها في الخارج. فسمحت لنفسي بالدخول».

أكّدت لها ماتي بعصبية: «لا داعي للأسف».

تمنّت لو أنّ جاك بوتشامب يفلت ذراعها. ليس لأنه يؤلمها فعلاً، وإنّما بسبب ذلك الإحساس بالوخز الذي شعرت به من خصرها حتى كتفيها.

ـ على أيّ حال، كنت سأغادر للتوّ.

تراجعت ببطء لتبتعد عن جاك بوتشامب، ما سيضطره لأن يترك ذراعها. إلاّ أنه لم يفعل! بل نظر إليها بتحدٍّ محكماً قبضته على ذراعها: «لم نتفق بعد بشأن التفاصيل فيما يتعلق بهذا المساء. قلت إنّك تفضّلين أن نتعشى في الخارج، فما رأيك بأن آتي لاصطحابك حوالى الساعة التاسعة، ثم نذهب لتناول القهوة في مكان ما؟».

ماذا لو أنهما ينسيان المسألة برمّتها؟

إلاّ أن جاك بوتشامب لم تكن لديه النيّة بأن يدعها تذهب بسلام. وأخيراً وافقت كارهة: «حسناً، إذا كان هذا ما تريده».

ردّد بشكل حاسم: «هذا ما أريده، ماتي».

ـ حسناً!

أخفضت بصرها لتنظر إلى حيث كانت يده تطبق على ذراعها،

وتراجعت خطوة إلى الوراء. وأخيراً أفلت ذراعها وهو يتمتم: «إلى التاسعة من مساء هذا اليوم، إذاً».

أومأ جاك بوتشامب بانحناءة من رأسه: «أتطلع بشوق إلى ذلك».

حسناً، ماتي ليست كذلك بالتأكيد!

ما الذي سيقوله لها يا ترى؟ وما الذي سيفعله بشأن الحماقة التي ارتكبتها بتبديل البطاقات المرسلة مع باقات الأزهار؟

***

www.elromancia.com

٣ ـ ابتزاز . . مغرٍ

ـ أنت تعمّدت تبديل البطاقات، أليس كذلك؟.

كانت ماتي تأخذ رشفة من كأس العصير، فابتلعتها بسرعة، وكاد ذلك يسبب لها الاختناق. راحت تسعل وتغمغم معاً، ما جعل العصير يندفع إلى أنفها وإلى قصبتها الهوائية، فأخذ أنفها يرشح وعيناها تنهمران بالدموع وهي تحاول السيطرة على نفسها.

كان جاك يجلس بقربها في زاوية من زوايا المقهى الريفي الذي ذهبا إليه معاً، لتناول العشاء. وفيما هي تسعل وتغمغم، التفت العديد من روّاد المقهى إليها وفي نظراتهم الكثير من التعاطف. بينما بدت التسلية في عيني جاك البنيّتين الضاحكتين وعلى فمه الملتوي!. ناولها منديلاً أبيض بلون الثلج قائلاً بخشونة: «نظفي أنفك».

قامت ماتي بذلك مما ساعدها كثيراً، إلاّ أن عيناها بقيتا تدمعان.

سألها فيما هي تزيل عن وجهها وعينيها ما علق بها جرّاء ما أصابها: «هل تشعرين بتحسن؟».

شعرت ماتي بأنّ الكحل قد انساب إلى خديها بسبب انهمار الدموع من عينيها. وهذا ما حصل فعلاً، تأكّدت من ذلك بعد رؤيتها للمنديل الذي مسحت به وجهها، والذي أعطاها إياه جاك. لقد استحال اللون الأبيض الناصع إلى لون داكن ملطّخ ببقع بنيّة. أوه، حسناً! ليس عليها أن تقلق بشأن مظهرها الآن، فهذا أهون مشاكلها!

لكن كيف ستشعر الآن أنها بخير بعد أن قال لها جاك ما قاله؟ لقد علم

أنها قامت بتبديل البطاقات عمداً.

أحكمت قبضتها على المنديل في يدها، وقالت بتوتّر: «شكراً لك».

لا شك أنه لا يرغب في استعادة منديله بعد أن نظفت به أنفها.

أكّدت ماتي لأمها بعد أن عادت من عملها بأن الأمور سارت على ما يرام مع جاك بوتشامب، وأنه اقتنع تماماً بما أخبرته به بالنسبة لما حصل من خطأ بشأن البطاقات. وأهم ما في الأمر أنه لم يغيّر رأيه بالنسبة لترك «هاري» في عهدة أمّها خلال عطلة الأسبوع المقبل، وكل ما عليها القيام به الآن هو اقناع جاك بوتشامب بذلك، لكن يبدو أن الملاحظة التي أبداها للتوّ جعلت أملها هذا صعب التحقيق.

تنحنحت قليلاً لتجلو حنجرتها قبل أن تقول: «حاولت أن أشرح الأمر لك من قبل. . . اكتشفت الخطأ الحاصل فيما بعد. . بعد انقضاء العطلة. . ».

أقرّ جاك بخشونة وهو يرفع حاجبيه الداكنين فوق عينين ساخرتين: «نعم، لكن ما أشرت إليه لاحقاً عن وجود زوجة وأربع صديقات يدلّ على شيء آخر».

أجفلت ماتي ما إن تذكّرت تلك الملاحظة التي أبدتها صباحاً في مكتبه.

تابع جاك ببرودة، قبل أن يتناول رشفة صغيرة من العصير: «ألا تظنين ذلك؟».

لو أنّها فكّرت أكثر قبل أن ترسل تلك الباقات إلى صديقاته يوم السبت. . لكن هذه هي مشكلتها: إنّها تتصرف من دون تفكير!

استدار جاك ليصبح بمواجهتها تماماً قائلاً بهدوء: «حسناً، ماتي».

قد يظن من يراهما أن جاك بحركته تلك يود أن يقترب منها أكثر، لكن ماتي أدركت بسهولة أن غايته هي أن يحشرها أكثر في تلك الزاوية حيث تجلس، وهكذا لن تفكّر بالهرب منه. لكنّها ليست غبيّة إلى هذا الحد، فهي تعلم أنّها لن تتمكن من الابتعاد كثيراً إذا ما فكرت بالهرب. فمع أن جاك بوتشامب يجلس طوال الأسبوع وراء مكتبه، إلا أنه يتمتع بجسم رياضي

قويّ.

- فكّرت ملياً بتلك المحادثة التي سمعتها بينك وبين والدتك عندما ذهبت لأتفقّد نزل الكلاب بالأمس. أعتقد أنكما كنتما تتحدّثان عن زير نساء وخنزير قذر..؟ يبدو لي أنّ ذلك الخنزير القذر هو رجل لديه أربع صديقات.. أليس كذلك؟.

غار قلب ماتي في صدرها، حتى لكأنه أصبح بين قدميها!

بللت شفتيها الجافتين.. وقد بدا عليها الذهول. فهي بالكاد استعادت هدوءها بعد أن كادت تختنق، كما أن وجود ذلك الرجل الجذّاب بقربها لا يسهّل عليها الأمور.

آخر ما كانت ماتي ترغب بالتفكير فيه، في تلك اللحظة، هو قوة الجاذبية الذي يتمتّع بها جاك. فمشكلتها الأكبر هي أنها لا تعلم كيف سترد على هجومه المباشر ذاك.

قال موبّخاً: «أوه، هيا ماتي. لم يبد عليك بالأمس أنك تواجهين مشكلة في التعبير عن أحاسيسك».

صاحت به كأنما أصيبت بلسعة: «ولا اليوم أيضاً.. حسناً، أنت من كنت أتحدث إلى أمّي بشأنه بالأمس، لكن ذلك لا يعني.. لا يعني..».

- مم.. ماذا؟.

حملقت ماتي فيه وأطلقت لسانها لتصيح في وجهه من جديد: «حسناً، لقد ارتكبت غلطة. أيّ شخص يمكن أن يرتكب أخطاء عن غير قصد».

وكانت لهجتها تقول: حتى أنت أيضاً!

أقرّ جاك ببرودة: «طبعاً. ذلك ممكن. لكن عن أي واحد من أخطائك نحن نتكلم؟».

لو كانت الظروف مختلفة، لشعرت ماتي بالمتعة. فهي تجلس إلى جانب رجل في منتهى الجاذبية، كما أن المقهى الذي يجلسان فيه هو في الواقع أحد أجمل المقاهي الريفية، حيث يغلب عليه الطابع القديم غير المتكلّف. لو أن الظروف مختلفة فقط..

- اسمع، أنا ذهبت إليك أوّلاً لأعتذر عما بدر مني من خطأ، و.. و....

نظرت إلى جاك نظرة استغراب وتوقفت عن الكلام، فحثّها: «نعم».

قطّبت ماتي: «ماذا تعني بقولك: عن أيّ واحد من أخطائي نحن نتكلّم؟».

ابتسم جاك بسخرية: «آه، أدركت أخيراً أنك ارتكبت أكثر من خطأ واحد؟».

الخطأ الوحيد الذي تظن أنها ارتكبته هو جرأتها على تحدّي هذا الرجل.. وهي تدرك الآن بوضوح أن هذا يعتبر غلطة كبيرة! لكن يبدو أن جاك يلمّح إلى ارتكابها أخطاء أخرى!

راحت تقول ببطء: «بالأمس جئت على ذكر أسرتك، فافترضت أن لديك زوجة وأولاد».

أجاب بهدوء: «ليس لدي زوجة، ولا أولاد. لدي والدين وأخوات، وقد التقيت بإحداهن هذا الصباح».

نظرت إليه ماتي بتشكك: «أتعني أن هذه هي أسرتك التي ستذهب معها خلال عطلة الأسبوع إلى باريس؟».

هل يتوقع منها أن تصدّق هذا؟ باريس هي مكان مثالي للعشاق، لا مكاناً يذهب إليه رجل في بداية الثلاثينات من عمره برفقة والديه وأخواته.

أومأ جاك يذكرها، متجاهلاً تماماً ما ظهر عليها من تشكيك: «أختي الصغرى ألكسندرا، التقيت بها هذا الصباح».

مع أن ماتي ما زالت غير مقتنعة بمدى صدقه فيما يتعلق بعلاقته بالكسندرا، إلا أنها وافقته: «نعم».

هزّ كتفيه: «ألكسندرا أعلنت خطوبتها مؤخراً، وقررت الاحتفال بهذه المناسبة، بتناول العشاء في مطعم في برج إيفل في باريس».

لم تعد ماتي تعرف، أتضحك من هذا التبرير السخيف، أم تشعر بالحسد لأن بعض الأشخاص يمكنهم أن يحتفلوا بهذه الطريقة؟.. لكن هذا ما

www.elromancia.com

يحدث! وكلا الأمرين لا يشعرانها بالرضى.

ـ إذاً، ليس لديك زوجة.

ربما يجدر بها الاعتراف بأنها كانت مخطئة بهذا الشأن.

ـ ولا أربع صديقات.

لم تتمكن ماتي من منع نفسها من الابتسام: «حسناً... ربما ليس بعد الآن».

لم تكن تبدو على جاك أيّ آثار واضحة تدلّ على حصول صدام بينه وبين امرأة.. أو أربع نساء في الحقيقة!... لكن مع ذلك، لم تكن لديه صعوبة بأن يكون حراً لهذا المساء ليقابلها، إذا ما أخذنا بالاعتبار بأن لديه عدداً من الصديقات.

قال جاك مفكّراً: «أتعلمين بمَا أفكّر، ماتي؟».

وقبل أن يتسنّى لها الوقت لتردّ عليه بجواب بارع يجعله يدرك أنّها لا تهتم مطلقاً بم يفكر فيه، تابع: «كان يجدر بوالدك أن يصفعك بقوة أكبر على قفاك عندما كنت صغيرة!».

شحبت الابتسامة على وجه ماتي. وقالت بهدوء: «هذا الأمر كان صعباً في ذلك الوقت.. مات والدي عندما كان عمري ثلاث سنوات».

تحتفظ ماتي ببعض الذكريات الضبابية عن والدها؛ فهو رجل طويل القامة اعتاد أن يحملها فوق كتفيه ليضعها في السرير، رجل يتميّز بضحكته الدائمة. كما تذكر أن أمّها كانت تضحك باستمرار في تلك الأيام أيضاً....

ـ أنا آسف.

أعادها اعتذار جاك بوتشامب إلى الواقع لتنتبه من جديد أين هي الآن.. ومع من تجلس بالضبط.

ـ لا بد أن الأمر كان صعباً بالنسبة إليك.

ردّت ماتي بهزّة من رأسها في محاولة لإخفاء الألم الذي لا زالت تشعر به عند الحديث عن وفاة والدها المبكرة: «أعتقد أن الأمر كان أصعب بالنسبة

لأمي».

ـ نعم...

انتظرت ماتي أن يستأنف جاك توبيخه لها، وعندما لم يفعل، التفتت نحوه. بدا غارقاً في تفكير عميق، إلاّ أن التعبير الغامض الذي بدا على وجهه جعل من المستحيل التكهّن بما يشغل أفكاره، ما دام لا يشعر بالأسف من أجل والدها...

قال فجأة بصوت خشن: «كما ترين، ماتي، وضعني تصرفك هذا في وضع محرج».

قالت بحذر: «أوه، حقاً؟».

لم تكن بحاجة لأن تسأل أي تصرّف من تصرفاتها كان يعني بقوله.

استدار جاك لينظر إليها من جديد، مؤكداً بخشونة: «أوه. حقاً! لكن بالطبع، هناك طريقة لإصلاح الأمر..».

شعرت ماتي فجأة بأن تلك الطريقة التي وجدها لإصلاح الأمر وحلّ مشكلته، لن تعجبها على الإطلاق. بالرغم من ذلك، كان من المستحيل عليها أن تتوقع سؤاله التالي.

ـ هل لديك جواز سفر؟.

هتفت بتشكيك: «هل لديّ ماذا؟».

كرّر جاك بهدوء: «جواز سفر».

سألت بارتياب: «حسناً، نعم أنا... لماذا تسأل عن ذلك؟».

لقد حصلت على جواز سفر للمرة الأولى في حياتها العام الماضي، حين قرّرت، هي ووالدتها، أن تسافرا لتمضية أسبوع في اليونان، وذلك للمرّة الأولى منذ سنوات. لكن ما شأن جاك بوتشامب إذا كان لديها جواز سفر أم لا؟

قال يذكّرها: «أخبرتك أنني سأذهب إلى باريس في عطلة نهاية الأسبوع».

استعادت كلماته ببطء: «لحضور العشاء لمناسبة خطوبة

شقيقتك...».

قال بأسف: «حسناً، لم أكن سأذهب بمفردي».

ـ أخبرتني أن والديك وشقيقاتك سيذهبون إلى هناك أيضاً.

قال جاك بوتشامب متشدقاً بسخرية: «كلا، ماتي. قصدت بكلامي أنني كنت سأذهب برفقة امرأة، وإذا كان لديك جواز سفر فهذا سيحل المشكلة».

ـ لم أكن.. آه..

أجفلت ماتي ما إن اتضح لها ما يعني بكلامه هذا. من الواضح أن إحدى أولئك النساء الأربع كانت سترافقه إلى باريس. طبعاً.. «كانت» لأنها تشك بأن تعود إحداهن للتحدث معه بعد أن قامت هي بتبديل البطاقات أو تذهب معه خلال عطلة نهاية الأسبوع إلى باريس. لا شك أن تلك المرأة غير متزوجة. لكن أي واحدة منهن تلك؟ سالي أم ساندي أم... وهل لذلك أهمية؟

يبدو لها من سؤال جاك بوتشامب أنه يريدها أن تدفع الثمن لما سبّبته له من خسارة رفيقته في تلك العطلة الأسبوعية، وأنّ عليها هي أن ترافقه بدلاً منها. فقالت بلهجة متكبّرة: «لا أظن ذلك، سيد بوتشامب».

ماذا يظنّها هذا الرجل بالضبط؟ إنها تبيع الأزهار وتؤمن وصولها إلى الزبائن، لكنّها لا تؤجر نفسها لأحد من أجل تمضية عطلة الأسبوع في باريس!

ـ لا تظنّين ذلك؟

علا صوت ماتي لشدّة سخطها، والتمعت عيناها بلون أزرق غامق: «كلا، لا أظن ذلك!».

ـ باريس في فصل الربيع. لا شيء أكثر رومنسية من هذا.

قطّبت في وجهه مستنكرة منه هذا الطيش: «حسناً، أعترف أنني قد فوتت عليك بعض الأمور فيما يتعلق بنهاية هذا الأسبوع، لكني متأكدة أن رجلاً بوسامتك وسحرك.. لن يصعب عليه أن يجد امرأة لترافقه إلى

باريس!».

لا شك أنّ لدى هذا الرجل مزايا هامّة تجعله يكسب ودّ أولئك النساء الأربع! كما أنّ معظم النساء اللواتي تعرفهنّ قد يقفزن من الفرح إذا ما توفرت لهن هذه الفرصة.. ليس فقط بسبب الرحلة إلى العاصمة الفرنسية.

مع أن ماتي تكره الاعتراف بذلك، إلاّ أنّ جاك بوتشامب يتمتع بجاذبية قوية وسحر يخدّر الحواس، ما يجعلها تشعر بأنوثتها إلى أبعد حد. ليس لأنها وقعت تحت تأثير سحره، على الإطلاق. كما راحت تحدّث نفسها بحزم، وإنما لأن الرجل يملك جاذبية خارقة.

ـ لم يعد هناك وقت كافٍ، ألا تظنّين ذلك؟.

هزّت ماتي كتفيها: «أنا متأكدة أن بإمكانك التفكير بشيء ما».

ـ هل تعتقدين حقاً أنني وسيم وجذّاب؟

ردّت بسرعة: «يتعلق هذا الأمر بمدى اهتمام بعض النساء».

أملت أن يعتقد جاك بوتشامب أنها لا تجده بالغ الجاذبية، مع أنها تراه كذلك فعلاً.. في الواقع، من الصعب أن تتجاهل أيّ امرأة وسامته الطاغية. إلاّ أن وجود أربع صديقات لديه في الوقت نفسه هو أمر غير جذّاب على الإطلاق، بل غير مقبول بالنسبة لماتي. خاصّة بعد ما حصل معها في علاقتها مع ريتشارد.

قال يذكرها: «لكنّك قضيت على هذا الاحتمال، ماتي».

إذاً، نجحت خطّتها رغم كلّ شيء!

هزّت رأسها: «ذلك لا يعني أن عليّ أن آخذ مكانهنّ للتعويض عليك».

ضحك جاك ضحكة خافتة: «أنا لم أقل إن عليك أن تنامي معي ونحن في باريس، ماتي..».

أجابت بحزم وبصورة قاطعة: «قلت لك إنني لست ذاهبة معك إلى باريس».

فيما اندفع تفكيرها في تخيّلات تجمعها مع جاك بوتشامب في مواقف حميمة، وهما يتبادلان المشاعر المحمومة والعناق. قطع عليها جاك هذه

التخيلات حين قال وكأنه لم يسمع جوابها:

- على أيّ حال، نحن لن نضيّع وقتنا في النوم عندما نكون في باريس، بل سنستغل الفرصة لنخرج ونتفرج على المدينة معظم الوقت -.

ابتلعت ماي ريقها بصعوبة، متجنّبة نظراته الدافئة القاتمة تلك: «لا أعلم أين هي المشكلة في ذهابك إلى باريس وحدك. بإمكانك أن تمضي نهاية الأسبوع من دون أن ترافقك امرأة».

ثم أكملت بسخرية: «كما أنّك قلت إن أسرتك بأكملها ستكون هناك، على أيّ حال...».

- بالإضافة إلى توم، خطيب شقيقتي.

وأكمل موضحاً أمام نظرات ماي المرتبكة: «والدا توم سيكونان هناك، وأخته أيضاً».

تردّدت ماي. الطريقة التي تلفّظ بها بجملته الأخيرة، واللهجة البطيئة التي رافقتها، بدا أنهما تعنيان.. وشهقت باشمئزاز: «وهل هذه واحدة أخرى؟».

ألا يكتفي هذا الرجل أبداً؟ من الدلائل التي تراها أمامها يمكنها القول إنه حقاً لا يكتفي!

ردّ بخشونة: «لا، أنا لست مهتماً بها».

ضاقت عينا ماي لتصريحه هذا: «لكن شقيقة توم لا توافقك الرأي..؟».

أومأ جاك: «أؤكّد لك ماي. أنّ المشاعر بيننا غير متبادلة».

ثم تابع بخشونة: «لكن بما أنّ شارون هي شقيقة توم، فإن وضعي معها حرج جداً. إذا قلت لها إنني غير مهتم بها، أخشى أن ينعكس ذلك على الآخرين أيضاً... أعتقد أن الحلّ الأفضل هو أن أذهب إلى باريس برفقة امرأة أخرى».

احتجّت ماي: «شكراً جزيلاً!».

ذكّرها قائلاً: «لم تكوني أنت خياري الأساسي».

طبعاً لا، وإنما سالي أو كالي أو ساندي أو تينا كانت ذلك الخيار. لكن ماي، وبسبب أحد تصرفاتها المتهوّرة، قضت على إمكانية مرافقة إحدى أولئك النساء له إلى باريس..!.

سألته باهتمام: «ما مشكلتك مع تلك المرأة، شارون؟».

أجاب جاك بهدوء: «شهامتي لا تسمح لي بالتحدث عن هذا الأمر».

شهامته، آه، حقاً؟.

هزّت رأسها: «لا يمكنني، في الواقع، أن أذهب إلى باريس لمدة ثلاثة أيام، فلديّ عمل هنا..».

صحّح لها جاك بهدوء: «أربعة أيام، مع العلم أن يومي الجمعة والإثنين هما يوما عطلة أيضاً، حيث تكون المصارف مقفلة خلالهما. فلن يبقى إذاً سوى يوم السبت. وأنا متأكد أن بإمكانك تدبّر الأمر».

أكّدت له ماي بحزم: «لا يهمّ عدد الأيام.. أنا لست ذاهبة معك!».

ارتفع حاجبا جاك الداكنان: «لم لا؟».

رشفت ماي رشفة من العصير بهدوء، لئلا تصاب بالاختناق كما حصل لها من قبل. لكن العصير البارد لم ينجح في تبريد الغليان الذي تشعر به في داخلها. إن قيامها بتبديل البطاقات المرفقة بالأزهار التي أرسلت لصديقاته الأربع، والذي يعرف جاك تماماً أنه تصرف متعمّد وليس خطأ غير مقصود، كان تصرفاً غبياً منها، ولا يدل على براعة مهنية. وجاك بوتشامب يعي ذلك تماماً. لذا فإن بإمكانه أن يسبّب لها متاعب مهنية كثيرة إذا ما قرّر الانتقام منها. وها هو الآن يحاول ابتزازها. الابتزاز الذي يمارسه عليها هو عمل أكثر حماقة من الحماقة التي ارتكبتها هي، لكن المسألة هنا أنها هي من بدأت أولاً.

لقد قامت بما قامت به عن قصد، وببرودة أعصاب. لأنها شعرت بالسخط بالنيابة عن أولئك النساء الغافلات، كما لو أنها معنيّة شخصياً بالأمر، وهذا ما أدركته الآن. لقد تعمّدت الأذى فعلاً. لكن من المؤكد أن ما فعلته لا يستحق عقاباً موازياً لتمضية نهاية الأسبوع في باريس برفقة رجل..

ما الذي تقوله؟ قضاء نهاية الأسبوع في باريس برفقة جاك بوتشامب ليس عقاباً على الإطلاق. إن أيّ امرأة عاقلة لن تراه كذلك أبداً. الرجل وسيم وساحر، وجاذبيته تثير الرعشة في أوصالها. معظم النساء سوف يقفزن من البهجة إذا ما سنحت لهن الفرصة للذهاب معه إلى باريس خلال عطلة نهاية الأسبوع. حتى هي، إذا أرادت أن تكون صادقة مع نفسها...

متجنّبة نظراته المثيرة، بللت ماتي شفتيها الجافتين: «وماذا أقول لأمي؟».

بدا أن جاك يفكّر بجدّية بسؤالها، من دون أن تبدو عليه علامات السخرية كالعادة: «أظنّ أن أمك قد أدركت أنّني أنا هو ذلك الخنزير القذر الذي كنت تتحدثين عنه بالأمس، أليس كذلك؟».

ومرّة أخرى لم تتمكّن ماتي من النظر إلى عينيه: «حسناً...».

قال باقتضاب: «إنها تعلم. حسناً، ما رأيك بأن تخبريها بالحقيقة كما هي بالنسبة للذهاب إلى باريس؟».

شهقت ماتي غير مصدّقة: «الحقيقة؟ أخبر أمي أنّك تريد أن تبتزّني وتصطحبني معك إلى باريس، لأنّني قمت بتصرف غير مهني، وأنّ بإمكانك أن تدمّرني إن لم أفعل ما تريد؟».

أجفل جاك: «عندما تنظرين إلى الأمر بهذه الطريقة...».

قالت ماتي بتحدٍّ: «ألست تقترح أن أخبرها بالحقيقة؟».

تنهّد جاك: «نعم، لكنّي لم أتوقع أن تبدو الحقيقة لك بهذا الشكل. ألا يمكنك أن تقولي لأمك إنك ستقدمين لي المساعدة كصديقة؟».

ردّت بسخرية: «بالذهاب معك إلى باريس؟».

ـ نعم.

ـ لكننا لسنا صديقين.

ـ أعتقد أننا سنصبح كذلك، إذا ما أمضينا معاً عطلة نهاية الأسبوع برفقة أسرتي.

حدّقت فيه ماتي بإحباط. إن الأمر مضحك حقاً، وفي منتهى الغرابة.

لا يمكنها أن تنكر أنّ جزءاً منها كان يتحرّق لمعرفة كيفية شعورها عندما تذهب إلى باريس برفقة رجل مثل جاك بوتشامب. في الواقع، لا يمكنها الادعاء بأنّها لا تتوق إلى الذهاب إلى باريس، مع جاك بوتشامب أو بدونه. لم تكن لديها فرص كثيرة من قبل للذهاب في عطلة. فمنذ طفولتها اعتادت ماتي على مساعدة أمها في رعاية الكلاب، فيما يذهب أصحاب تلك الكلاب في عطلاتهم.

نظرت إلى جاك بوتشامب بنفاد صبر: «سيد بوتشامب، أظنّ أنّك حقير تماماً...».

ـ جاك.

التمعت عينا ماتي بلون أزرق معتم: «أيّاً كان اسمك، فأنت لا زلت حقيراً!».

ابتسم جاك: «هل يعني ذلك أنّك ستذهبين برفقتي إلى باريس؟».

والآن، لماذا، تشعر بأن قلبها يكاد يقفز من صدرها لوقع كلماته؟ عنّفت نفسها في سرّها: حسناً، تماسكي قليلاً ماتي!

إذا كانت قد وافقت على مرافقة جاك بوتشامب إلى باريس، فذلك لأنه يريدها هناك لردع تلك المرأة المسمّاة شارون، وليس لأي سبب آخر. لكن باريس تبقى.. باريس! التي يفترض أنّها المدينة الأكثر رومنسية في العالم.. بالإضافة إلى ذلك، ألم تبدأ منذ الآن بالتخطيط، داخل رأسها، للطريقة التي ستوضّب فيها ثيابها، بالرغم من إصرارها على القول لجاك بأنّها لن ترافقه.

أخذت نفساً عميقاً قبل أن تقول ببطء: «ذلك يعني أنّني سأذهب معك إلى باريس. لكن إيّاك أن تظنّ أنني كنت لأفعل ذلك لو لم أكن مكرهة على القيام به».

ساورها شعور بالذنب لإنكارها رغبتها الحقيقية في الذهاب.

أكّد جاك بخشونة: «كلا، بكل تأكيد».

رمقته ماتي بنظرة حادّة متفحصّة. لم يبد مقتنعاً لقولها هذا...

قال بصوت منخفض: «ماتي، فكّري فقط برحلة عبر نهر السين؛

www.elromancia.com

بالتنزه في الشانزيليزيه، وعند قوس النصر، بتناول القهوة في مقهى على الرصيف وبالعشاء في مطعم في برج إيفل».

لم تعد ماتي تستطيع المقاومة. غدت الفكرة أكثر إثارة شيئاً فشيئاً فيما هو يتحدث، بل إنها بدت لها رائعة. في الواقع، الأمر الوحيد الذي ظلّ يقلقها، هو أنّها ستكون هناك برفقة جاك بوتشامب!

***

٤ ـ خوف.. وأشياء أخرى

نظرت ديانا إلى ماتي عبر المطبخ، غير مصدّقة: «أنت ذاهبة إلى أين؟ ومع من؟».

انتظرت ماتي حتى موعد الفطور في صباح اليوم التالي، لتخبر ديانا بخطتها فيما يتعلق بنهاية الأسبوع. ولم يكن جواب أمّها مشجّعاً. وفي الواقع، خشيت ماتي أن توقع ديانا من يدها كوب القهوة الذي سكبته لنفسها للتو! فتناولت الكوب بلباقة من يد أمها، ووضعته على الطاولة قبل حصول كارثة. ثم غمغمت وهي تتجنّب النظر إلى عيني أمّها المتشكّكتين: «إلى باريس. برفقة جاك بوتشامب».

كانت لا تزال مرتدية البيجاما وفوقها رداءٌ مفتوحاً. فيما كانت أمها قد أنهت جولتها الصباحية وقدمت إلى ضيوفها ـ الكلاب ـ فطورهم.

أضافت ماتي بسرعة: «لكن سيكون لدينا غرفتين منفصلتين».

آملة أن تكون هذه هي الحقيقة. فبحسب ما تتذكّر، لم يتكلما عن هذا الجزء بالتحديد خلال لقائهما ليلة أمس...!

قالت أمّها بصوت واهن: «حسناً، هذا أمر مطمئن».

جلست ديانا إلى طاولة المطبخ، وقد بدت كأنها على وشك السقوط بعد لحظة: «هل هذه فكرتك لمعالجة الأمر مع جاك بوتشامب؟».

أكّدت ماتي: «ليس الأمر كذلك بالضبط. إنّها فكرته هو لمعالجة الأمر معي!».

أخذت بنصيحة جاك وأخبرت أمّها بالحقيقة. لكنّ ذلك يتطلّب وقتاً.

www.elromancia.com

أضافت باشمئزاز: «فلنقل إنها عقوبة عادلة. مع أن تمضية عطلة الأسبوع في باريس ليست فكرة سيئة».

هزّت أمّها رأسها: «لا أظن ذلك.. لم أكن أظن.. ما كان جاك بوتشامب في الواقع.. أوه، ماتي. ماذا أفعل بك؟».

اغرورقت عينا ديانا بالدموع وكادت تجهش بالبكاء كما تفعل عادة عندما تقع ماتي في مأزق، وهذا ليس نادر الحدوث. مدت ماتي كلتي يديها لتحتضن يد أمها، ثم طمأنتها بحنان: «سيكون كل شيء على ما يرام. فبالرغم مما حصل، سيحضر جاك كلبه لتهتمّي به خلال عطلة نهاية الأسبوع».

ضحكت ديانا من بين دموعها، وأذعنت: «مع ذلك، ما زلت لا أصدّق أنك ستذهبين معه إلى باريس».

وراحت تهزّ رأسها مذهولة. فذكّرتها ماتي: «ظننت أنّك أحببت جاك».

- نعم، أحبّ جاك. أعني لقد أحببته. في الواقع، رحت أتساءل بالأمس إن كان في الأسرة شخص آخر يشبهه، وإنما أكبر منه في السن.

ابتسمت ماتي: «فكّرت بذلك حقاً؟».

أكّدت أمها: «حقاً! لكن ذلك حصل قبل أن أعرف أنه سيصطحب ابنتي معه إلى باريس خلال عطلة الأسبوع».

جاء دور ماتي الآن لتطلق ضحكة قوية: «أوه. أمي. أنت لا تظنّين..».

توقفت فجأة عن الكلام، عندما فتح الباب بعد طرقات سريعة عليه. واتسعت عيناها من الدهشة لرؤيتها جاك واقفاً هناك عند الباب. كان يرتدي ثياب العمل الرسمية: بذلة غامقة اللون، قميصاً عاجياً وربطة عنق بنيّة اللون معقودة بدقة متناهية. أما شعره فلا يزال رطباً بسبب الدوش الصباحي، الذي لا بد كان مبكراً جداً، لأن الساعة لا تزال الثامنة. وهذا ما يدعو للتساؤل: كيف تمكّن من إيجاد محل لبيع الأزهار مفتوحاً في مثل هذه

الساعة، ليشتري منه تلك الباقة من النرجس التي يحملها في يده؟

وقفت ماتي ببطء، وقالت بحدّة: «ماذا تفعل هنا؟».

ثم حوّلت بصرها بسرعة نحو أمّها، في الوقت الذي أصبح جاك داخل المطبخ بعد أن أغلق الباب خلفه. ألقى التحية بمرح: «صباح الخير لك أيضاً، ماتي. أنا، في الواقع، لم آت لأجلك».

أضاف جملته الأخيرة وهو يستدير ليقدم لوالدتها باقة النرجس. حقاً! ألا يكفي أنه أتى إلى هنا حاملاً الهدايا حتى قبل أن يسنح لها الوقت لارتداء ثيابها.. لا بل إنه قدم تلك الهدايا لأمّها!

- لم لا تذهبين وتحضّرين نفسك للذهاب إلى العمل؟

والتفت إلى ديانا مبتسماً: «فيما أتحدث قليلاً إلى والدتك».

ولِمَ لا تفعل..؟ حقاً، إن هذا الرجل لا يطاق. كيف يجرؤ على القدوم إلى هنا في مثل هذا الوقت غير المناسب، ويبدأ باصدار الأوامر؟ في الواقع، إذا لم تكن مخطئة، فإن أزهار النرجس تلك، والتي أهداها جاك لأمّها، قد قطفت من حديقة منزلهما الأمامية.

شعرت أن شكلها في غاية الفوضى، فهي لم تسرح شعرها بعد، ولم تضع أي ماكياج، كما أنها ترتدي رداءها القديم المريح فوق بيجاما مقلّمة. لكنها لم تكن تتوقع زواراً في مثل تلك الساعة من الصباح. وكادت تنفجر في وجهه حين أضاف جاك بتهذيب: «أرجوك».

فقالت بحدّة: «أفضّل القيام بذلك».

وبسرعة التقطت كوب القهوة الذي لم تنته من شربه بعد، وسارت باتجاه الباب المؤدي إلى الردهة. لكنها لم تستطع منع نفسها من القول: «تذكري ما ستحصلين عليه في المقابل، أمي».

بدا قولها غامضاً بالنسبة لجاك. لاحظت ماتي ذلك بسرور قبل أن تغادر المطبخ، وعلى وجهها ابتسامة ظافرة.

ماذا يفعل هنا، في هذا الوقت المبكر من الصباح؟

اتفقا بالأمس مساءً أن يلتقيا مجدداً هذا المساء لمناقشة بعض التفاصيل

www.elromancia.com

فيما يتعلق بترتيبات نهاية الأسبوع. ولم يشر جاك حينها، بالتأكيد، إلى مسألة قدومه إلى هنا هذا الصباح. لو أنه فعل ذلك لقامت ماتي ببعض المجهود لتحسين مظهرها على الأقل.

ولكن، هل يهم حقاً بأي مظهر تبدو؟ فلم يبد على جاك أي انطباع يشير إلى أنه يجدها جذابة، مهما كان ما ترتديه. إنها بالنسبة إليه فقط وسيلة يستخدمها لوضع حد لامرأة أخرى. عليها أن تتذكر هذا الأمر جيداً.

أخذت ماتي وقتها لتحضير نفسها للذهاب إلى العمل. فاستحمت ووضعت ماكياجاً. ثم ارتدت بذلة سوداء مع بلوزة بلون عاجي، وسرحت شعرها بعناية.

يا له من تغيير! هذا ما قالته ماتي لنفسها، بعد أن نظرت بإعجاب إلى انعكاس صورتها في المرآة الكبيرة المعلقة في خزانة ملابسها. ها هي الآن تبدو على حقيقتها تماماً؛ صاحبة محل ناجح لبيع الأزهار والنباتات الخضراء. لكن، لسوء الحظ، لم يكن جاك هناك ليبدي إعجابه بها عندما عادت إلى المطبخ بعد عدة دقائق! كان المطبخ في الواقع خالياً، حتى إن أمها لم تنتظرها لتخبرها لما أراد جاك أن يتحدث إليها. لكن ماتي لاحظت أن أزهار النرجس وضعت بعناية في إناء بات الآن يتوسط طاولة المطبخ...

وأخيراً، لحقت ماتي بأمها إلى مكتبها في نزل الكلاب، فإذا بها جالسة على أحد المقاعد فيما تنام «صوفي»، كلبة اللابرادور، على المقعد ملقية رأسها على ركبتها.

نظرت الأم إلى ماتي ما أن دخلت إلى المكتب وظهرت الابتسامة على وجهها، فقالت ماتي: «هل كل شيء على ما يرام؟».

ردّت ديانا بلا مبالاة: «نعم».

نظرت إليها ماتي بترقّب. مهما يكن الأمر، فهما غير معتادتين على استقبال زوّار من الرجال في مثل هذا الوقت من الصباح.

ـ جاك مضطر للذهاب إلى مكتبه، لكنه قال إنه سيراك لاحقاً هذا المساء.

لكن، مرّة أخرى، لم يبد أن هناك معلومات جديدة، فأمها استمرت تدغدغ «صوفي» وتلاعبها لفترة قبل أن تقرّر الوقوف والتحرك لتجلس على الكرسي خلف مكتبها. خلال هذا الوقت أحست ماتي بالغضب ونفاد الصبر. ما الذي كان يريده جاك؟

نظرت ديانا إلى ساعة يدها متسائلة: «أما كان عليك أن تغادري منذ عشر دقائق؟».

هتفت ماتي بإحباط: «أمي!».

رفعت أمّها حاجبيها متظاهرة بالبراءة: «نعم؟».

انفجرت ماتي في وجهها: «أتراك كنت دائماً هكذا، مثيرة للسخط، أم أنك أصبحت كذلك بعد دخول جاك بوتشامب إلى حياتنا؟».

ضحكت ديانا، ووبّختها بحنان: «أنت شفّافة جداً، ماتي. أردت فقط أن أثير سخطك قليلاً. كل ما أراده جاك هو أن يشرح لي الموقف، ويطمئنني إلى أنه لن يحاول إغواء طفلتي».

قطّبت ماتي، ثم قالت بنزق: «حقاً؟ أعني.. بالطبع هو لن يفعل».

إلاّ أنّها شعرت بالانزعاج لأن جاك تجرأ على مناقشة هذه الأمور مع والدتها، فأضافت بغضب: «لكنّني سبق وأخبرتك بذلك».

قالت أمّها تهدئها: «بالطبع أنت أخبرتني، لكن جاك أراد فقط أن يطمئنني أكثر».

جاك!.. ها هي أمها تستخدم اسمه الأول ببساطة، فيما لا يزال هذه الأمر غير مألوف لدى ماتي. مع أنها هي التي سوف تذهب لتمضي عطلة الأسبوع برفقته. أوه، حسناً! لا شك أنها سوف تطلق عليه العديد من الأسماء الأخرى بعد نهاية هذا الأسبوع، بالإضافة إلى اسمه الأول. ولن يكون أي منها مبهجاً دون شك.

قالت أمّها بخشونة: «حسناً، لا داعي للشعور بخيبة الأمل، فهذا الأمر يبقى رهناً بموافقتك أنت».

اتسعت عيناها باحتجاج: «ماما».

ربتت أمها على يدها وقالت معترفة: «حسناً، هكذاأفضل. فأنا أشعر دوماً بأنني هرمة حين تناديني «أمي» بتلك اللهجة الجدية».

إذا ما أخذنا بالاعتبار أن والدة ماتي لا تكبر جاك سوى بعشر سنوات تقريباً، إذاً، لكان الأجدر به أن يدعوها هي إلى مرافقته خلال نهاية الأسبوع! فكّرت ماتي بذلك لكن الفكرة لم ترق لها على الإطلاق. فبالرغم من معرفتها أن لديه أربع صديقات.. وربما أكثر، إلا أنها لا زالت تشعر بالانجذاب نحو هذا الرجل. وهذا أمر شديد الخطورة طالما أنها ستمضي برفقته أربعة أيام في باريس...

* * *

حدّقت ماتي بجاك عبر طاولة العشاء: «ماذا تعني بقولك إنك أخبرت أسرتك كل شيء عني؟ متى أخبرتهم بذلك؟ ماذا قلت لهم؟».

بحسب معرفتها، فإن جاك لا يعرف الكثير عنها.

لا شك أن تناول العشاء مع جاك بوتشامب هو تجربة مميزة. كان جاك وماتي يجلسان إلى طاولة موضوعة بالقرب من النافذة، ينظران إلى الأفق البعيد الممتد فوق لندن، عندما جاء صاحب المطعم ليرحب بجاك. وقف جاك وعرّفه بماتي على أنها صديقته ماتي كراوفورد. ما همّها إذا كان لديها صديق مثل جاك بوتشامب؟.

هزّ جاك كتفيه بلا مبالاة: «اليوم، تناولنا جميعاً الغداء في منزل والدي. وأخبرتهم، ببساطة، أنني سأصطحب معي الآنسة ماتي خلال عطلة نهاية الأسبوع».

ثم أضاف باهتمام: «بالمناسبة، ماتي هو اختصار لأي اسم؟ ربما سألني أحدهم عن ذلك».

بدا جاك في غاية الأناقة والجاذبية ببذلته السوداء وقميصه الناصع البياض وربطة عنقه الحريرية. فكّرت بتلك العلاقة المتينة التي تربط جاك بأسرته، فقلة من الرجال ممن هم في مثل سنّه يزعجون أنفسهم بالبقاء على

علاقة وثيقة بذويهم. ووجدت ذلك أمراً حسناً، خاصة أنها هي أيضاً على علاقة حميمة مع أمها. على الأقل هناك أمر مشترك بينهما.

ـ ماتيلدا ماي.

وما لبثت أن أضافت: «لا أفهم كيف يصبح اسم جوناثان، جاك!».

قالت ذلك كردّ سريع لتحوّل انتباهه عن اسمها، فهي تكره أن يناديها أحدهم باسمها الكامل. هذا الاسم القديم الطراز، يجعلها تبدو كامرأة عانس وكبيرة في السن.

هذا المساء، ارتدت ماتي فستانها الأسود القصير الذي اشترته لمثل هذه المناسبة، والذي طال مكوثه في الخزانة. لكنها عندما رأت أولئك النساء اللواتي يجلسن حول الموائد في ذلك المطعم الفاخر، واللواتي يرفلن بأجمل الثياب وأكثرها أناقة، أدركت أن عليها أن تعيد النظر في ما تحتويه خزانتها من ملابس قبل أن تغادر إلى باريس يوم الجمعة القادم. فآخر شيء ترغب فيه هو أن تبدو عديمة الذوق، وهي ترتدي ملابس مزرية عند لقائها بأسرة جاك..

لماذا تهتم كيف ستبدو حين تقابل أسرة جاك؟ فهي، على الأرجح، لن تلتقي بأي واحد منهم بعد انقضاء نهاية الأسبوع هذه. لكن الجواب جاءها على الفور: إن الأمر يهمّها، فلا شك أن أسرة جاك غنية مثله، ولا بد أن أخته وأمّه سترتديان ثياباً مصمّمة خصيصاً لمناسبة العشاء تلك. عليها إذاً أن تشتري لنفسها ثوباً مميزاً، حتى لو كلّفها ذلك كل مدّخراتها.

أجاب جاك عن سؤالها شارحاً: «أطلقوا عليّ اسم جوناثان، ليميّزوا بيني وبين جدّي لأمّي الذي يدعى أيضاً جاك، لكن اسمه في العمادة جون».

فكّرت ماتي أن للأسر عادات غريبة تجعلها تقوم بمثل هذه الأمور. وبالحديث عن الأسر.. سألته: «كم سيكون عدد الأشخاص في حفل العشاء المرتقب؟».

ابتسمت بحياء للنادل الذي أحضر لهما أطباق الأسكالوب مع اللحمة المقددة والثوم. وكانت ماتي قد اختارت هي أيضاً ما اختاره جاك للعشاء؛

فلا شك أنه يتناول العشاء دوماً في مطاعم مشابهة. وتبدو الأطباق التي أحضرت لهما حتى الآن شهية جداً.

أجاب جاك بصورة عرضية: «معنا نحن الإثنين؟ خمسة عشر شخصاً».

خمسة عشر!

فغرت ماتي فاها من الصدمة. هل يتوقع منها أن تنسجم مع خمسة عشر.. لا، بل ثلاثة عشر شخصاً غرباء عنها؟

في العادة، لا مشكلة لديها في لقاء أشخاص جدد. فهي تقوم بذلك كل يوم خلال عملها، وذلك منذ أن أصبحت امرأة ناضجة. لكن هؤلاء الثلاثة عشر شخصاً هم أفراد عائلة جاك، وهذا أمر مختلف تماماً.

مدّ جاك يده نحوها وضغط برفق على يدها. ثم ابتسم لها: «لا تقلقي بهذا الشأن، فسأكون أنا إلى جانبك، على كل حال».

ألا يعلم أن هذا الأمر لن يساعدها على الإطلاق؟ كيف سيجعلها تشعر أنها بحال أفضل؟ ألا يكفيها أنه هو نفسه مصدر تعذيب لها، حتى تضطر إلى التعامل مع أسرته بأكملها؟

بذلت ماتي جهداً كبيراً لتبدو رابطة الجأش، فهي لا تريد أن تبدو كالبلهاء: «كيف هي يا ترى؟».

- جربي وسوف تعرفين بنفسك.

وبيد خبيرة تناول قطعة اسكالوب من صحنها وقرّبها من فمها. فيما راحت ماتي تمضغ الطعام قبل أن تبتلعه بسرعة، فكّرت أن هذه الحركة فيها الكثير من الحميمية. أن يطعمك شخصك ما بيده في المطعم.. أمر يبدو حميمياً إلى حدٍ بعيد!

ضغطت فكّيها بإحكام، والتقطت السكّين موضحة أنّها تفضّل أن تأكل طعامها بنفسها: «كنت أقصد بكلامي أسرتك».

اتسعت عينا جاك، ليبتسم بعد ذلك: «عفواً، كيف يمكنها أن تكون؟».

ثم قال بعد تفكير: «عادية، مثلي تماماً».

لم ترغب ماتي بأن تقول له بأنه شخص غير عادي على الإطلاق! لكن يبدو أنه أدرك نظراتها المتشككة، فعدّل جلسته بظرف: «حسناً، ليس لأي منهم رأسان أو ثلاثة أرجل».

- كم لديك من الأخوة والأ...؟.

قاطعها جاك بإلحاح مفاجيء: «هل تأكدت من صلاحية جواز سفرك؟ آخر شيء أريده هو أن يمنعوك من السفر بسبب انتهاء صلاحية جواز سفرك».

بدت الفكرة جيدة لماتي! لكن لسوء الحظ، جواز سفرها في حالة جيدة وعليها أن تنبذ هذه الفكرة من أساسها. أكّدت له وقد لاح لها أمل من نوع آخر: «إنه صالح. لكن قد تحصل مشكلة لأن الاسم المدوّن في تذكرة السفر ليس اسمي أنا».

- لم يفتني الاهتمام بهذا الأمر. اتصلت بشركة الطيران اليوم لتأكيد الحجز باسمك.

قالت بعذوبة: «يا لسرعتك في التحرك!».

ردّ جاك بعذوبة مماثلة لا تخلو من المكر: «أليس كذلك؟».

ثم أكمل فجأة: «ماتي، هل قلت لك كم تبدين جميلة هذا المساء؟».

مرّة أخرى، وجدت نفسها مأخوذة بسحر هذا الرجل. ذلك السحر الذي يستطيع صاحبه أن يطلقه أو يمنعه ساعة يشاء. لكم يبدو فتّاكاً! أحسّت ماتي بالحرارة تجتاحها، وتحولت دقّات قلبها إلى مهرجان صاخب داخل صدرها. رمقته بنظرة منتقدة، وقالت بجفاء: «النفاق هو أسوأ أنواع التملق».

أكّد لها جاك بنعومة: «لكنّك تبدين جميلة حقاً. كما أنّ لون شعرك رائع.. ما هو اسم هذا اللون؟».

راح ينظر بإعجاب إلى شعرها الكثيف الذي يتماوج بانسياب فوق كتفيها. قالت ماتي باقتضاب: «أشقر».

هزّ جاك رأسه، وهو لا يزال ينظر إلى شعرها: «إنه كالعسل، أو ربما

الدبس، مع لمسة من. . . .».

أكملت بلهجة ساخرة: «. . الملح والبهار؟ أظن أنك جائع جاك وأقترح عليك أن تستمرّ في تناول الأسكالوب».

راح يضحك معترفاً: «بدا الأمر كأنني أتحدث عن طبق، أليس كذلك؟».

يا لها من كارثة! إن كيل جاك بوتشامب الإطراءات لها ليست فكرة جيدة، والأسوأ منها أن تقبل هي سماع تلك الإطراءات. فقط لو أنّ. . . لو أنها خرجت مع جاك في موعد حقيقي. لو أنهما حقاً ذاهبان إلى باريس لتمضية نهاية أسبوع رومنسية. . . لكنهما ليسا في موعد حقيقيّ أو ذاهبان إلى باريس في رحلة رومنسيّة؛ فهي ليست بالنسبة إلى جاك سوى درع واق يبعد عنه شقيقة خطيب أخته. ويلائمها تماماً ألاّ يكون لديه أفكار أخرى تتعلق بها.

كيف يمكن لرجل مثله أن يكون لديه نوع آخر من الاهتمام بها؟ لقد كانت تستدعى إلى مكاتب شركته مرتين في الأسبوع خلال العام الفائت، وذلك في أوقات متأخرة من النهار. ومع أنّ جاك شعر أنه يعرفها من قبل حين رآها في مكتب والدتها يوم الأحد، إلا أنه بالتأكيد لم يتذكر أين رآها قبل ذلك. لأنه، في خضم الانهماك بالعمل اليوميّ، لن يتمكن من ملاحظة شخص مثلها. على كل حال، هذا هو الثمن الذي عليها أن تدفعه لكونها غير فضولية، وتهتم فقط بعملها بدقّة وفعالية، فتبدو كأنها غير موجودة.

حسناً، لم يعد هذا حالها بعد أن تحوّل اهتمام جاك بوتشامب نحوها. أليس كذلك؟

قالت بتكلّف: «أرى أنك، على الأرجح، تتمرّن على الموقف من أجل نهاية هذا الأسبوع، لكن أتمنّى، حقاً، ألاّ تزعج نفسك بذلك».

ثم أضافت بسرعة لتغيّر الحديث قبل أن يتسنّى له الردّ: «أنا مهتمّة أكثر بمعرفة السبب الذي دفعك إلى الذهاب لمقابلة أمّي هذا الصباح».

هل أصبحت تعابير وجهه، فجأة، أكثر حذراً، أم أنها تتخيّل ذلك؟

ربما أذعنت للفكرة ببطء مع أنها لم تدرِ لماذا. . .

وبدلاً من الإجابة عن سؤالها، ردّ عليها جاك بسؤال أيضاً: «ألم تخبرك بنفسها؟».

قالت ماتي بنفاد صبر: «بالطبع أخبرتني، لكنّني، ببساطة، كنت أتساءل. . أتساءل. . .».

ـ ماتي، أعطيتني الليلة الماضية انطباعاً واضحاً بأنك لا تريدين أن تقلق والدتك بسبب ذهابك معي خلال عطلة نهاية الأسبوع. . . .

قالت بفظاظة: «كنت أتساءل لما قمت بذلك!».

رفع جاك حاجبيه استنكاراً: «أردت فقط أن أطمئن ديانا بأنني. . .».

قاطعته ماتي بحدّة: «بأنك لن تحاول إغواء طفلتها! أتعلم جاك؟ أنا حقاً لا أظنّ. . .».

جعلتها ضحكة جاك تتوقّف عن متابعة الكلام، وقد امتلأت عيناه البنيّتان بالمرح: «هذا ما أخبرتك به أمّك؟».

تجمّدت ماتي فجأة، وراحت تنظر إليه بعينين ضيقتين: «نعم، هذا ما أخبرتني به».

ثم أردفت بتشكّك: «أليس هذا ما قلته لها؟».

أذعن جاك بغموض: «بين أشياء أخرى».

ثم أكّد بثقة: «على أي حال، لقد بدت لي بحال أفضل بعد أن تحدّثت إليها».

أرادت ماتي ملاحقة الموضوع لتعرف ما هي تلك «الأشياء الأخرى». لكن، لسوء الحظ، حضر النادل في تلك اللحظة، وإلى أن ابتعد من جديد، بدا أن جاك عاد ليستمتع بتناول طعامه. أمّا هي. .

فجأة حدّثها قائلاً: «أتعلمين؟ لا زالت والدتك تبدو امرأة جميلة. ألم تفكّر بالزواج مرّة أخرى؟».

أجابت ماتي دون تردّد: «على الإطلاق».

مع أنّ ما قاله عن والدتها قد سرّها، لكنّها شعرت، في الوقت نفسه،

بوخزة من الغيرة بسبب ذلك الإعجاب الواضح الذي يبديه جاك نحوها. بالرغم من أنّها هي نفسها تشاركه هذا الإعجاب. فهي تقدّر تماماً، بأنه لم يكن من السهل على أمّها أن تصبح أرملة وهي في الثالثة والعشرين من عمرها، فتجد نفسها وحيدة مع ابنتها البالغة من العمر ثلاث سنوات فقط. لذا لا يحقّ لها التذمّر إذا ما لاحظ جاك أنّ ديانا لا زالت امرأة جميلة.

وبعد...

يا للسخافة! إنّ وجود أربع صديقات لدى هذا الرجل، هو الذي جعلها تقابله وتتحدّث إليه. ومع ذلك، لم تشعر بأيّ أثر للغيرة بسببهن. أليس من السخافة أن تشعر بالغيرة بسبب إعجابه بأمّها؟

نظر إليها جاك مفكّراً: «لا بد أنّها أحبّت والدك كثيراً!».

ردّت ماتي بهدوء: «أعتقد ذلك».

ثم أكملت تحثّه: «لم تخبرني بعد عن ترتيبات يوم الجمعة».

استمرّ جاك يحدّق بها لحظات طويلة، قبل أن يردّ: «ألم أخبرك حقاً؟».

وراح يشرح لها ما سيحدث بالضبط.

كانت تنظر إلى جاك من تحت رموشها المنخفضة، فيما هو يشرح لها خطته المتعلقة بنهاية الأسبوع، وأدركت أنها تحب كل ما يتعلق بهذا الرجل: مظهره، طريقة اختياره لملابسه، علاقته الحميمة مع عائلته، حتى اهتمامه بإطلاع أمها على خطته لنهاية الأسبوع، وذهابه إليها لطمأنتها. فقلة من الناس الذين تعرفهم يقومون بذلك.

الأمر الوحيد الذي لم تحبّه فيه هو علاقته بأولئك النساء الأربع. إنّه حقاً الأمر الوحيد!

ألا ينبّهها وجود أربع نساء في حياة هذا الرجل إلى أمر ما؟ ستكون بلهاء إذا وقعت في حبه! لكنها تعلم أن ذلك سيكون صعباً جداً بعد أن تمضي برفقته أربعة أيام في باريس، عاصمة الرومنسية...!.

***

٥ ـ أضاعت قلبها

ـ نحن مسافران لأربعة أيام، لا لأربعة أسابيع، ماتي.

قال جاك ذلك متذمّراً بشكل تلقائي، وهو يحمل حقيبة ماتي الثقيلة الوزن، ليضعها في صندوق السيارة صباح يوم الجمعة.

لم تكلف ماتي نفسها الردّ على ملاحظته تلك. واكتفت بأن رمقته بنظرة متغطرسة، بعد أن لاحظت حجم حقيبته الصغيرة الموضوعة في صندوق السيارة. ربما تكون قد بالغت في كمية الثياب التي حملتها معها، لكنّها لم تذهب إلى باريس من قبل، لا في فصل الربيع ولا في أي فصل آخر. لذا فليس لديها فكرة عن الطقس هناك. ولم تشأ أن تسأل جاك كي لا تظهر له جهلها. وهكذا قامت، بكلّ بساطة، بتوضيب كلّ الملابس الجديدة إضافة إلى كلّ الأغراض التي وجدت أنها تتناسب معها.

كانت ديانا قد خرجت لاستقبال «هاري»، فبادرت بالردّ على جاك ضاحكة: «نحن النساء نفضل أن نكون جاهزات لكل الاحتمالات».

لم تعرف ماتي ماذا عليها أن ترتدي خلال الرحلة، لكنها قرّرت أخيراً أن ترتدي أفضل جينز لديها، مع قميص قطني أبيض مناسب، وسترة سوداء اللون. بدت أنيقة، وشعرت بالارتياح لذلك، بعد أن تفحّصت انعكاس صورتها في المرآة منذ وقت قصير. في حين بدا جاك كما يفترض به أن يبدو تماماً: شاب ثريّ، أنيق، ومعتاد على القيام بمثل هذه الرحلات. لكن بالطبع، ليس برفقة ماتي!.

تسارعت خفقات قلبها ما إن وقع نظرها عليه، وشعرت بتقلّصات في

www.elromancia.com

معدتها معلنة عن حماستها الداخلية. . أم أنّ ذلك أصابها بسبب التوتر الذي تشعر به؟ مهما يكن الأمر، بدت أحاسيسها في منتهى الغرابة، مزيج من الحياء والترقّب يشوبهما شيء من الخوف. أليس الأمر غريباً حقاً؟.

وبسرعة أخذت ديانا المبادرة لتقول: «أليس من الأفضل أن تأخذ «هاري» إلى غرفته، ليعتاد عليها؟ فقريباً ستنطلقان في رحلتكما».

إنها المرّة الأولى التي تذهب فيها ماتي إلى أيّ مكان برفقة رجل. ومع ذلك، ها هي أمها تتصرف بهدوء بالغ. ما الذي قاله لها جاك بالضبط يا ترى، عندما تحدّث إليها ذلك الصباح؟

ـ نعم بالتأكيد.

تلاشى حسّ الفكاهة لدى جاك وهو ينحني ليداعب كلبه. وقال بشيء من التجهّم: «تعال يا صغيري، لنر كيف ستتدبّر أمرك».

وجّهت ديانا إلى ابنتها نظرة ذات معنى، من فوق ظهر جاك الذي كان منحنياً يربّت ظهر كلبه.

ـ لمَ لا تنتظرين هنا، ماتي؟.

وافقت على الفور: «حسناً».

وقفت ماتي لفترة من الوقت، وهي تطرق الأرض بكعب حذائها. فوجدت أن الفرصة مناسبة للتفكير، لكنّها كلما أمعنت في تفكيرها كلّما وجدت أنّ ذهابها برفقة جاك هو فكرة غير صائبة. وفي الواقع، لطالما رفعت سماعة الهاتف خلال الأيام القليلة الماضية، لتقول له ذلك. لكنّها كانت في كلّ مرّة تذكّر نفسها بأنّها هي التي سببت له هذا المأزق، وعليها أن تساعده للخروج منه. لو أنّها فقط لا تشعر بهذا التوتّر!.

نسيت كلّ الأفكار التي راودتها، عندما خرج جاك بعد دقائق شاحب الوجه، مشدود الفكّين، فيما بدا أحد أعصاب فكّيه نابضاً بقوة. اقتربت منه لتمسك بذراعه في حركة مطمئنة، وقالت بهدوء:

ـ أنت تعلم أنّ «هاري» سيكون، حقاً، بخير.

هزّ جاك رأسه قليلاً، مجبراً نفسه على الابتسام، مع أنّ الشحوب لا يزال

يعلو وجهه: «الآن أدركت ما كان يشعر به والداي وهما يعيدانني إلى المدرسة الداخليّة».

إلاّ أن ماتي أدركت أن ذلك الشعور مختلف تماماً، لكن. . .

ـ وأنت، بمَ كنت تشعر حين يتركك والداك ليعود إلى المنزل؟.

غدت ابتسامته أكثر مرحاً: «كنت أبالغ في الاحتجاج قبل مغادرتهما، ذارفاً الدموع. . لكنّني لا ألبث، بعد دقيقتين من خروجهما، أن أنخرط مع رفاقي لنبدأ بالتكلّم في وقت واحد، ونحن نخطّط لما سنقوم به من حيل خلال الفصل المقبل».

ضحكت ماتي للفكرة: «حسناً، لا أظنّ أن «هاري» سيقوم بذلك. لكن لا شكّ بأنّه سيكون بخير».

فسوف تحرض أمّها على ذلك.

ـ ألا يفترض بنا أن نكون الآن في الطريق.

جاء صوتها حاداً أكثر مما أرادته أن يكون، فابتسمت قليلاً في محاولة لإبعاد انتباهه عن نبرتها الحادّة. التفت نحوها وقال متحقّقاً:

ـ أمتأكدة أنت أنّك أخذت كلّ ما تحتاجين إليه؟.

فكّرت ماتي بسؤاله ملياً: «أخذت ستّة أزواج من الأحذية. . هل تظنّها كافية. . .؟».

توقفت فجأة عن الكلام، عندما أدار محرك السيارة وانطلق بسرعة فائقة جعلتها تشعر وكأنها مثبّتة من الخلف إلى المقعد. ثم قالت برهبة: «هانحن إذاً».

وقوّمت جلستها لترتاح أكثر في مقعدها بالقرب منه.

قال جاك بسخط: «لطالما اعتقدت أن الشقيقات مزعجات بما يكفي، لكن الصديقات هن. . .».

ذكّرته ماتي ببرودة: «أنا لست صديقتك».

جاء صوتها بارداً، إلا أنها تعمّدت أن تضع النقاط على الحروف قبل مغادرتهما أرض الوطن. لكن جاك ردّ بلا مبالاة: «بل أنت كذلك للأيّام الأربعة المقبلة».

ونظر نحوها بحاجبين ملتويين: «جاك وماتي، ماتي وجاك. كيف تجدين وقع العبارة؟».

نبذت الفكرة بسرعة: «إنها سخافة».

بينما فكّرت في سرها أن ما هو سخيف فعلاً هو ذلك التوهّج الدافىء الذي شعرت به في داخلها لدى سماعها لفظ اسميهما مقترنين معاً.

هزّ جاك كتفيه: «تمتّعي باللحظة، ماتي».

هذا أمر لم يكن باستطاعتها القيام به كثيراً خلال الأيام القليلة المقبلة، فتحركاتها سوف تكون رهناً بما ينوي جاك وأسرته القيام به. وهذا أمر مؤسف، لأنها تودّ، حقاً، أن ترى...

قطع كلام جاك حبل أفكارها: «حجزت طاولة للعشاء، هذا المساء، من أجلنا نحن الإثنين. لكن، هل من مكان محدّد تودّين الذهاب إليه أثناء وجودنا في باريس؟».

اتّسعت عينا ماتي: «أنا؟».

أكّد لها كأنه يود مضايقتها: «نعم، أنت. قد أكون مخطئاً، لكن لديّ إحساس بأنك لم تذهبي إلى باريس من قبل».

أقرّت ماتي: «أنت محقّ، لكني ظننت أننا سنكون هناك لأجل مناسبة عائلية».

أجابها جاك بهدوء: «أعترف، ماتي، بأنني قريب جداً من أسرتي. لكنّني لا أنوي تمضية أربعة أيام كاملة برفقتها، في الوقت الذي يمكنني أن أكون برفقة امرأة جميلة وحدنا خاصّة في باريس».

وأضاف قبل أن تتمكن ماتي من الكلام: «سوف نلتقيهم جميعاً مساء الغد. وباستثناء ذلك، نحن حرّان في استخدام وقتنا كما نشاء».

شعرت ماتي بالصدمة عندما أشار بكلامه إلى «امرأة جميلة».. فمن الواضح أنه قصدها هي. لكن جملته التالية كانت بمثابة الضربة القاضية. لأنّ جاك ما لبث أن أعلن: «أنا شخصياً أودّ كثيراً تمضية يوم في «يورورديزني». ماذا عنك؟

أجابت بغموض: «هذا حسن».

كان رأسها لا يزال يدور بسبب معرفتها بأنهما سيمضيان معظم الوقت معاً، وبمفردهما. بحقّ الله! بمَ سيتحدثان طيلة أربعة أيام وثلاث أمسيات؟ وماذا عن الليل..؟.

ابتلعت ماتي ريقها بصعوبة: «جاك...».

ـ استرخي، ماتي.

مدّ يده نحوها، فأمسك بيدها وضغط عليها برفق، فيما أبقى يده الأخرى ممسكة بعجلة القيادة ونظره على الطريق: «متى كانت آخر مرّة أخذت فيها عطلة؟».

ـ منذ سنة.

ـ إذا، فكّري بأنّ هذه الرحلة هي مجرد عطلة فقط. فنحن ذاهبان لنرفّه عن نفسينا، اتّفقنا؟.

ـ حسناً.

* * *

ـ حسناً، ما رأيك؟.

قال جاك ذلك وهو يقف وراءها، في مواجهة نافذة غرفتها في الفندق الذي ينزلان فيه، وقد وضع يديه الدافئتين فوق كتفيها.

لم يكن جاك مبالغاً حين أخبرها أن الفندق يشرف على برج إيفل، فقد شعرت ماتي كأنّ بإمكانها أن تلمس البرج بيدها لو تطاولت قليلاً.

ضغط جاك بيديه على كتفيها: «ماتي؟».

هزّت رأسها: «إنّه... أنا...».

وأخيراً تمكّنت من القول وسط تأثّرها: «شكراً لك».

أدارها جاك ببطء لتواجهه، وراح ينظر إليها باهتمام وهو يرى الدموع تتلألأ في عينيها: «علام؟».

أشارت بكلتا ذراعيها نحو الغرفة والمنظر الرائع الذي تطلّ عليه معاً.. «على... على كلّ هذا».

بدت الغرفة واسعة وجميلة، وديكورها المزدان بالأزهار دافئاً ومرحّباً. كانت ماتي قد خلعت حذاءها ما إن أصبحت وحدها في الغرفة، لتترك قدميها تغوصان في نعومة السجادة السميكة الزهرية اللون.

ابتسم جاك، وهو يمسك بيدها ليجرها نحو الباب الذي يؤدّي إلى الغرفة المجاورة. في الواقع، كانت ماتي تعتقد أنّ هذه الغرفة هي غرفة جاك، وقد ساورها القلق، إلى حدٍ ما، بسبب ذلك الباب الذي يصل ما بين الغرفتين. لكن يبدو أنّها كانت مخطئة.

إذا كانت تعتقد أنّ غرفتها تتميّز بالفخامة، فغرفة الجلوس تلك بدت أكثر فخامة؛ فقد وضعت فيها مقاعد وثيرة، طاولات زجاجية صغيرة تزينها صحون كبيرة مليئة بالفاكهة وأخرى مليئة بالأزهار، كما وضعت في إحدى زواياها جهاز تلفزيون.

لكن إذا كانت هذه غرفة جلوس..؟.

وكأن جاك قد أحسّ بارتباكها، فتحرّك إلى الأمام ليفتح باباً ويريها غرفة نوم مشابهة في ديكورها لغرفة نومها: «هذه غرفتي أنا».

لاحظت ماتي أنّ هذه الغرفة تحتوي على سريرين عاديين بدلاً من السرير المزدوج الموجود في غرفتها..

حثّها جاك بخشونة: «هيّا، ارتدي أحد تلك الأحذية السنّة التي أحضرتها معك، لكي نخرج ونستكشف معاً».

لم تستطع ماتي إلاّ أن تقدّر حماسته هذه، خاصّة وأنّها متأكدة بأنّ جاك قد أتى إلى باريس عدّة مرات من قبل. لكن إذا ما رغب بأن يقوم بدور المرشد السياحي من أجلها، فهذا يناسبها تماماً.

شعرت بالسعادة وهي ترتدي حذاءها من جديد. قرّرت أن تترك سترتها في غرفتها، فالطقس في باريس بدا دافئاً تماماً كأيام الصيف في انكلترا، وهذا جعلها تشعر بالسرور.

ترددت قليلاً بعد أن نزلا السلم ووصلا إلى الردهة المزدحمة للفندق: «ألن تخبر أسرتك، على الأقل، أنك وصلت إلى هنا؟».

ـ لقد أخبرتهم.

ثم أضاف: «كما اتّصلت أيضاً بوالدتك».

اتّسعت عينا ماتي لهذا الخبر، فقد كانت تودّ الاتصال بأمّها في وقت مبكر من غرفتها في الفندق، لتخبرها أنّهما وصلا سالمين، لكن بما أنّها لا تجيد التكلّم باللغة الفرنسية، وليس لديها فكرة عن كيفية الاتصال عبر الهاتف مباشرة من غرفتها، فقد اضطرّت إلى تأجيل الأمر إلى أن تطلب مساعدة جاك في ذلك.

قالت ببطء: «هذا لطف منك».

ـ أردت أن أطمئن على «هاري»، على أيّ حال.

آه، طبعاً! إنه سخف من قبلها أن تفكّر بغير ذلك. سألته بأدب: «كيف حاله؟».

ـ بخير.

ثم أضاف بلهجة يشوبها القليل من الارتباك: «بالمناسبة جميع أفراد أسرتي يتطلعون قدماً للقائك مساء الغد».

ابتلعت ماتي ريقها بصعوبة، ولم تعرف بما تجيبه. كانت الأمور تبدو أكثر بساطة عندما كانا لا يزالان في انكلترا... تذهب إلى باريس برفقة جاك، تقوم بالدور المتوقّع منها ثم تعود بعد أربعة أيام لتستأنف حياتها المعتادة. لكن الواقع يبدو لها الآن مختلفاً تماماً! ذلك أنّ السفر برفقة جاك، وقبول أسرته لها على أنّها صديقته، يشكّلان تجربة فريدة بحدّ ذاتها.

ما الذي ستشعر به يا ترى بعد انقضاء الأيام الأربعة؟.

بدا من السهل جداً الانخراط في جوّ المرح السائد حول برج إيفل، حيث ينتشر الباعة المتجوّلون، ويتسكّع المئات من السيّاح هنا وهناك، فيما يستقلّ بعضهم المصاعد للوصول إلى قمّة البرج، أو يجلسون على العشب الأخضر في الجهة المقابلة متمتّعين بأشعّة الشمس.

ـ أظن أنّ الوقت قد حان لتناول فنجان من القهوة.

قال جاك ذلك، وهو ينظر إلى التعبير المتّسم بالدّهشة يعلو وجه ماتي.

أمسك بيدها وهما يقطعان الشارع، وينزلان بضع درجات إلى مقهى يقع بمحاذاة النهر. كان جاك يمسك يدها بقوّة، ما جعل ماتي تفكّر بأنّ من يراهما سيظنّ أنهما ـ هما أيضاً ـ عاشقان يتسكعان في ذلك المكان. ففكّرت أن المشكلة التي تواجهها الآن، هي سهولة نسيان السبب الحقيقي لوجودها هنا. وعندئذٍ سوف تعيش اللحظة، وتسمح لهذا الجو الرومنسي بإغوائها...!.

لكن، ماذا ستكون النتيجة مساء يوم الإثنين، عندما يعودان إلى إنكلترا؟ جاءها الجواب على الفور: قلب محطّم.

فجاك ليس فقط ذلك الرفيق الفاتن، السهل المعشر. بل إنّه جاك بوتشامب صاحب مصانع «ج. ب» وهو ابن عائلة ثريّة.. أو هذا ما يجب أن يكون الأمر عليه، طالما أنهم اختاروا باريس بالذات للاحتفال بخطوبة ابنتهم. كما أن جاك هو نفس الرجل الذي كان، لأربعة أيّام خلت، لديه أربع صديقات لا واحدة فقط.

وإذا ما قرّرت ماتي تجاوز كل العوائق السابقة التي تحول دون قيام علاقة دائمة بينها وبين جاك، فلا يمكنها على الإطلاق تجاوز المسألة الأخيرة..

قالت فجأة: «هل يمكننا العودة إلى الفندق؟».

ظهرت خيبة الأمل على وجه جاك، فأضافت: «أشعر بالإرهاق بسبب السفر. كما أحتاج إلى حمّام منعش وربما عليّ أن أغسل شعري استعداداً للخروج مساءً».

لا شك أن الاستحمام سيكون منعشاً لها، لكن ما أرادته ماتي حقاً، وبشكل ملحّ، هو البقاء لوحدها لفترة يمكنها خلالها ترتيب أفكارها، وتحصين دفاعاتها أمام سحر هذا الرجل.

وافق جاك وهو ينهي شرب قهوته: «نعم، بالطبع. كان عليّ التفكير بذلك من قبل».

وضع بعض النقود على الطاولة ثمناً للقهوة وأضاف بارتياح: «ليس علينا القيام بكل شيء في يوم واحد. كما أنّ لديك متسع من الوقت خلال

أربعة أيام لتعشقي باريس».

فكّرت ماتي بأنها أحبّت باريس فعلاً. لكن ما تخشاه حقاً، هو أن تكون قد وقعت في حبّ جاك بوتشامب أيضاً!.

* * *

www.elromancia.com

٦ ـ خطوة نحو المجهول

عشاء على متن مركب يطوف في نهر السين، لن يساعد ذلك ماتي كثيراً للتحكّم بأحاسيسها ومشاعرها حيال جاك!.

عندما أخبرها جاك أنه حجز طاولة للعشاء، ظنّت أنه يقصد عشاءً داخل الفندق. لكنّها فوجئت تماماً عندما لم يتوجّها إلى صالة العشاء في الفندق، بل قادها إلى الخارج ليستقلاّ سيارة أجرة. وصلا بعد عشر دقائق إلى شاطىء النهر، حيث وتمّ إرشادهما إلى طاولتهما على متن مركب فخم يطوف في النهر... هزّت ماتي رأسها مبهورة: «جاك، أفكّر أن...».

أطلق جاك ضحكة وهو يجلس قبالتها: «ماتي، باريس ليست مكاناً مناسباً للتفكير».

بدت جاذبيّته مدمّرة، وهو يرتدي بذلة سهرة سوداء، مع قميص ناصع البياض وربطة عنق سوداء أنيقة. كان شعره لا يزال رطباً لأنه استحمّ قبل خروجهما مباشرة، فبدا مجعداً فوق رقبته.

ـ هذا المكان يسمح بإطلاق العنان للحواس. يمكنك أن تشعري بكلّ يحيط بك... ولكن لا تستغرقي في التفكير وأنت في باريس؛ فذلك يسلب منك متعة اللحظة.

أليس هذا ما يقلقها بالفعل؟.

ارتدت ماتي، لهذه الليلة، أحد فستاني السهرة اللذين أحضرتهما معها. إنه فستان حريريّ ذو لون أزرق غامق يشبه تماماً لون عينيها.

بدت ساقاها الطويلتان الماثلتان إلى السمرة رائعتين، وهما تتمايلان في

حذاء صيفي أزرق اللون ذي كعب يبلغ ارتفاعه عشرة سنتيمترات، ما زادها طولاً وأناقة.

قطّبت فجأة وقالت بجفاء: «ربما هو كذلك. لكن يبدو أنك نسيت سبب وجودي هنا».

كان جاك ينظر من خلال النافذة إلى الخارج، حيث تتراقص أضواء المركب على جانبي النهر فتنير معالم باريس الرائعة، فيما هو يتهادى ببطء فوق سطح المياه.

ـ همم...؟.

ذكّرته ماتي بإحباط: «جاك! أتكلّم عن سبب وجودي هنا».

ـ ماذا بشأن ذلك؟.

راحت تفكّر بنفاد صبر في ما يبديه جاك من بلادة متعمّدة، فقالت: «بحقّ السماء، كيف ستظهر لتلك المسمّاة شارون عدم اهتمامك بها، فيما نحن هنا، نتناول العشاء بمفردنا على متن مركب نهري؟».

أجاب جاك: «أظنّ أنّ الأمر واضح. فخروجنا لتناول العشاء بمفردنا، على متن مركب أو في أيّ مكان آخر، يثبت بالتأكيد بأنني أفضل البقاء معك أكثر من البقاء مع أسرتي».

لم تنكر ماتي بأنه على حق في ذلك. مع أنّها لم تزل غير مقتنعة تماماً، فهي تفضل أن تكون في أيّ مكان آخر، على وجودها هنا وحيدة مع جاك، على متن مركب أو حتى في أيّ مكان.

ـ لم تكن مضطراً للتمادي إلى هذا الحد، كان بإمكاننا تناول العشاء في الفندق ببساطة.

استوى جاك على كرسيه ليبدأ بتناول طعامه، وقال بلا مبالاة: «لا تكوني سخيفة ماتي. لم أحضرك معي إلى باريس لنمضي وقتاً داخل غرفة في الفندق».

بدأت ماتي تتساءل لما أحضرها إلى باريس حقاً!.

ثم استدار ليهمس في أذنها بصوت أبحّ: «إلاّ إذا كان ذلك في غرفتك،

بالتأكيد».

نظرت إليه ماتي بعينين متسعتين، ثم أدارت وجهها بسرعة لتحدّق في صحنها، واثقة بأنها لن تتمكّن من تناول شيء منه. فقد باتت تشعر بأن شيئاً ما قد علق في حنجرتها، إنه قلبها على الأرجح! بينما راح جاك يدهن قطعة من الخبز الساخن بالبانيه، وهو يقول محدّثاً إياها: «أخبريني ماتي. متى بدأت تفكّرين بأني قد أتحرش بك ونحن في باريس؟».

راحت تلهث، واتسعت عيناها من جديد وهي تستدير لتنظر إليه غير مصدّقة. ثم عضّت على شفتها للحظة قبل أن تقول بتردّد: «أنا.. أنا لم...».

استدار جاك نحوها مبتسماً: «بلى، لقد فكّرت بذلك. ماذا لو وعدتك بشيء ماتي؟».

ابتلعت ريقها بصعوبة قبل أن تقول: «أي نوع من الوعود؟».

هزّ كتفيه العريضتين: «أعدك بأنني لن أحاول اغواءك إذا وعدتني بأنك لن تحاولي إغوائي».

ضاعت الكلمات من ماتي للحظة، ثم قالت بغضب: «أ.. أنا... ليست لدي النيّة بأن أغويك».

ـ هذا حسن.

وعاد ليوجه اهتمامه إلى طبق البانيه، بينما استمرت ماتي في التحديق به. هذا الرجل غير معقول حقاً، ولا يمكن إصلاحه! وكأنّها فكّرت يوماً بـ.. كأنّها فكرت بماذا؟ بإغوائه؟ اعترفت ببطء: ربما، عن غير قصد. لكنّها وبّخت نفسها على الفور؛ كيف يمكنك إغواء شخص ما عن غير قصد؟ حسناً، هي لم تكن تنوي إغواء جاك بوتشامب في الأصل، أبداً إلاّ إذا.. إلاّ إذا ماذا؟.

ـ لكن، إذا شعرت برغبة للقيام بذلك، فلا مانع عندي.

استنتجت ماتي بأنه مستاء، فرمقته بنظرة سريعة، لتجد أنه ينظر إليها بعينين بنيّتين ضاحكتين. قرّرت وهي تشعر بالسخط، بأنّها لن تحقّق له

مبتغاه. حتى لو كانت تتوق لأن يعانقها، فسوف تقاوم شعورها هذا.

نظرت بحدّة نحو جاك عندما لاحظت أنه يضحك بهدوء ضحكة خافتة.

فساورها الشك وقالت بحزم: «ما الذي يضحكك؟».

أجاب جاك بترو: «أنت تضحكينني. لكن أؤكّد لك، بالرغم مما تفكّرين به يا حبي، والذي يبدو واضحاً، أنني لا أخطّط للتمتّع بجسدك الجميل».

لو أنه لم يقل: يا حبي، لربما اقتنعت. ليس لأنّها تظن أنّه أحبّها حقاً، بل لأنها لا ترغب بأن يخاطبها بكلمات التودّد هذه.

جسدك الجميل.. وهذه عبارة أخرى لاحظت حقاً أنه استخدمها. هل يفكر جاك حقاً أنها تملك جسداً جميلاً؟

كلّما طاف المركب بهما، وتقدّما في تناول عشائها، كلّما شعرت ماتي بأنّها محتاجة حقاً لكلّ مساعدة ممكنة. لم يكن هناك حولهما سوى أزواج من المتحابين غارقين في المشاعر الحميمة، وفي الجوّ الرومنسي المنبعث من فتنة هذه الأمسية، فكان لهذا الجو الساحر أثره الكبير عليها..

غادرا المركب قرابة منتصف الليل. بدا الهواء مشبعاً بعطر الأزهار وروائح الطعام، فشعرت ماتي بأنه يمثّل إغراءً للحواس. وهكذا لم يكن جاك بحاجة إلى إغوائها، لأنّها باتت تشعر برغبة قوية لترتمي بين ذراعيه.

أشار جاك باتجاه سيارة أجرة متوقفة هناك: «طلبت من السائق أن يعود لاصطحابنا. لكنّني أظنّ أن العودة إلى الفندق سيراً على الأقدام، ليست فكرة سيئة. ما رأيك؟».

فكّرت ماتي بأنّها كلّما أسرعت بإنهاء هذه الأمسية، كلّما كان ذلك أفضل.. وأكثر أماناً.. إلاّ أنّها سمعت نفسها تقول: «يبدو هذا رائعاً».

ابتسم لها جاك ابتسامة عريضة، فبدا رائعاً تحت ضوء القمر: «كنت أتمنّى أن تقولي ذلك».

ثم أضاف بصوت أجشّ، وهو يضغط برفق على ذراعها قبل أن يسير

باتجاه سيارة الأجرة: «سوف أقول للسائق بأننا غيّرنا رأينا، لا تذهبي بعيداً».

عاد جاك لينضم إليها على الرصيف، وعيناه البنيتان الغامقتان تشعان بابتسامة دافئة. فقال معتذراً: «آسف لأنني جعلتك تنتظرين».

ما إن نظرت ماتي إليه حتى أدركت أنه هو الرجل الذي كانت تنتظره طيلة حياتها! صعقت لهذا الاكتشاف، فانقطعت أنفاسها، وشعرت بوهن مفاجىء في ركبتيها. كما توهج خدّاها باحمرار لاذع ما لبث أن فارقها ليتركهما شاحبين.

سألها جاك وهو يبسط ذراعيه ليمسك بذراعيها بينما راح ينظر إليها بفضول: «هل أنت بخير؟».

لم تعد، ماتي واثقة أنها ستكون بخير بعد الآن. فوقوعها في حب جاك هو من الأمور الأكثر تعقيداً، بل الأكثر غباء التي قامت بها في حياتها. جاك بوتشامب، من بين كل الرجال!.

أمام صمتها المطبق، قال جاك باهتمام: «ماتي...؟».

ابتلعت ريقها بصعوبة، وهزّت رأسها بخفّة. فآخر شيء تحتاجه الآن.. هو أن يدرك جاك ما تشعر به حياله. سيكون ذلك مخجلاً حقاً.

أخيراً قررّت وضع حدٍ لهذا الأمر، فأجابت: «بالتأكيد، أنا بخير! وبالرغم مما قلته لي من قبل، أتحرّق شوقاً لمعرفة ما سيحدث الآن».

قطب جاك مبدياً حيرته: «عفواً؟».

أرغمت نفسها على الضحك بسخرية: «أوه، هيّا جاك! من الواضح أنك قد قمت بذلك من قبل. إذاً، ما هي الخطوة التالية؟».

سقطت يداه عن ذراعيها، وغدت نظرته أكثر تساؤلاً: «لست واثقاً من أنني فهمت ما تقصدين».

ردّت بقسوة بالغة: «ألا تحاول إغوائي جاك؟».

ثم أشارت إلى المراكب خلفهما: «ها نحن قد تناولنا عشاءً رومنسياً، وها إن باريس قد مارست سحرها، وسوف نقوم الآن بنزهة تحت ضوء

القمر. وماذا بعد ذلك؟».

ضاقت نظراته: «هل تحسبين أنني معتاد على إحضار النساء إلى باريس، فأتناول العشاء معهن لأستميلهن وأغويهن؟».

اعترفت بخبث: «مع أن هذه الطريقة تبدو مكلفة للغاية، لكنها مضمونة مئة في المئة، كما أظن».

تصلّب فمه في خيط رفيع، وقال بخشونة: «ما سيحدث الآن، ماتي، هو أننا سنسير عائدين إلى الفندق، فيقول أحدنا للآخر: تصبح على خير، ثم يذهب كل منّا إلى غرفته».

عادت ماتي تقول كأنها تتعمّد تعذيبه: «جاك، هل أزعجك ما قلته لك للتو؟».

وتابعت تذكّره: «أنت تعلم أن السبب الوحيد لوجودي هنا هو أنني أفسدت علاقتك بصديقاتك الأربع، وكانت إحداهن سترافقك في هذه الرحلة».

وفكّرت أنّ الأحرى بها ألاّ تنسى هذا الأمر هي أيضاً!.

أجاب جاك بقسوة: «بعد الوعد الذي قطعته لك في بداية السهرة، هل هذا ما تظنينه بي حقاً؟».

أومأت مشيرة إلى الجو الرومنسي المحيط بهما: «أنا أقدّر كلّ هذه الروعة».

ثم أضافت بمرح مصطنع: «لكن بصراحة، ذلك لم يؤثر بي البتّة».

ـ هذا واضح.

ـ هل أزعجك أنني لم أتأثر بهذا الجوّ الرومنسي؟.

قال متشدقاً، مبدياً ارتياحه: «على الإطلاق. لكن لا يمكنك أن تلوميني على المحاولة».

ربما لا! أذعنت ماتي في سرّها، لكن ما أزعجها حقاً هو أنه نجح في ذلك.

قدم جاك لها ذراعه: «هل نذهب؟».

تردّدت ماتي للحظة قبل أن تمد يدها لتمسك بذراعه. فمجرد لمسه كان كافياً ليجعلها ترتجف من جديد. لكن رفضها التمسك بذراعه سوف يظهر بوضوح أنها ليست قادرة على السيطرة على نفسها كما تحاول أن تتظاهر. وآخر شيء تريده أن يكتشف جاك أن طريقته غير المباشرة لإغوائها قد نجحت فعلاً.

اعترفت لنفسها بتعاسة وهما يسيران عائدين إلى الفندق، بأن كل ما في هذه الأمسية كان مؤثراً، أكثر مما يمكن لجاك أن يتصور. فهي قد أحبت هذا الرجل، أحبت مظهره، طريقه حديثه، حسّ المرح الذي يتحلى به، قربه من أسرته، حتى عاطفته نحو كلبه! في الواقع، الأمر الوحيد الذي لم تحبه فيه هو أنه يحب رفقة النساء إلى حد جعله يحظى بأربع صديقات في الوقت نفسه.

هذا هو الأمر الوحيد.. مرّة أخرى..

ما تعرفه عن ماضي جاك لا يشجع على الإطلاق، لذا فلا يمكنها أن تأمل بأي علاقة مع هذا الرجل. كم هذا مدمّر، إلا أنها الحقيقة!

بدا لها الأمر مدمّراً أكثر وهي ترى غيرهما من العشاق يسيرون أزواجاً أزواجاً، ممسكين بأيدي بعضهما. عند شاطىء النهر وبالقرب من برج إيفل، لم يتكلم أيّ من جاك أو ماتي خلال سيرهما إلى الفندق، وكأن مسافة تفصل بينهما، مع أن ماتي كانت لا تزال متأبطة ذراعه. وفي الوقت الذي وصلا فيه إلى الفندق بدت ماتي تعيسة للغاية.

ما هي مشكلتها؟ فليساعدها الله! لقد قرّرت أن تضع حداً لتلك الإلفة التي نشأت بينها وبين جاك خلال هذه الأمسية، أدركت أن عليها القيام بذلك لكي تحمي نفسها وتنعم بالهدوء من جديد. والآن، بعد أن نجحت في ذلك، ها هي تشعر بالتعاسة.

التفتت نحو جاك، فيما كان المصعد يتحرك صعوداً نحو جناحهما في الفندق: «جاك...».

تكلّم كلاهما معاً، حيث كشر جاك: «ماتي.. عفواً...».

وأفسح لها المجال للتحدث أولاً: «الأفضلية للنساء».

في هذا الوقت، وصل المصعد إلى حيث يقصدان، وخرج كلاهما نحو الممشى المغطى بالسجاد. نظرت ماتي إليه لتلتقي نظراتها بنظرته المتفحّصة: «أنا.. أنا.. فقط...».

تأوّه جاك: «ماتي، إذا لم أعانقك الآن...».

وأحنى رأسه ليأخذها بين ذراعيه ويعانقها. نسيت ماتي كل اعتراضاتها وحذرها وهي تتجاوب مع عناقه، والتفّت ذراعاها حول كتفيه، فهذا ما كانت ترغب به طيلة الأمسية.

ـ جاك، أوه جاك، الحمد لله أنك عدت.

ما إن سمعت ماتي ذلك الصوت الأنثوي حتى ابتعدت بسرعة عن جاك. لم تكن قد لاحظت من قبل وجود أحد في الممشى المؤدي إلى جناحهما، لكن ما إن رأت المرأة تندفع باتجاه جاك حتى أدركت أن هذه الأخيرة كانت تنتظر عودته أمام مدخل جناحهما المشترك.

ألقت ماتي نظرة على المرأة الأخرى. إنها جميلة، طويلة القامة، ذات شعر أشقر منسدل على كتفيها. وقد بدت أنيقة ذات وجه حسن.

تنحّت جانباً وهي ترى المرأة تندفع لترتمي بين ذراعي جاك منتحبة.

قال جاك على الفور: «تينا! ما بك؟».

ثم أضاف بقلق: «ماذا جرى لك؟».

تينا!.

لم يكن لدى ماتي فكرة عما تفعله تلك المرأة هناك، لكنها أدركت بسرعة أن تينا هي إحدى النساء اللواتي أرسلت لهن باقات الأزهار... ما يعني أن تينا قد تكون المرأة التي كانت سترافق جاك خلال نهاية الأسبوع هذه...

رفعت المرأة بصرها لتقول بانفعال والدموع تغطي وجهها الجميل: «أنا.. لقد تركته».

أمسك جاك بذراعي المرأة، وهو يقول بصوت خشن، كأنه لا يصدق أذنيه: «ماذا.. فعلت؟».

أرجعت تينا رأسها إلى الوراء في حركة دفاعية وكرّرت بحزم: «لقد تركت جيم».

أدركت ماتي بصعوبة، أن المرأة «المتزوجة» هي التي كانت سترافق جاك خلال نهاية الأسبوع.

هزّ جاك رأسه كمن أصيب بدوّار: «لا يمكنك القيام بذلك».

قالت المرأة بتصميم: «بل لقد فعلت».

واستعادت سيطرتها على نفسها بسرعة.

شعرت ماتي بأن عليها الانسحاب، فهي في الواقع لم تكن ترغب في البقاء هناك لحظة أخرى. مدّت يدها لتلمس ذراع جاك: «جاك».

النظرة القلقة التي رأتها في عينيه عندما التفت نحوها، أنبأتها أنه بالرغم من التقارب الذي حصل بينهما منذ قليل، قد نسي وجودها تماماً. فقالت بتكلّف: «أظن من الأفضل أن أترككما بمفردكما».

بدا وجهه مصدوماً تماماً. هزّ رأسه: «أنا.. نعم. ربما يكون ذلك أفضل أنا....».

من الواضح أن مجيء المرأة الأخرى قد أربكه. أضاف معتذراً: «أنا بحاجة إلى بعض الوقت لكي أنهي هذه المسألة».

لم تكن ماتي بحاجة إلى المزيد من الشرح. حبست دموعها وهي تبتعد بسرعة عنهما، ولم تشعر بالارتياح إلا بعد أن دخلت إلى غرفتهاوأغلقت الباب خلفها.

ألقت بنفسها على السرير، وغطت رأسها بالوسادة كي لا تسمع ما يدور بين جاك وتلك الفاتنة، تينا. خاصة إذا ما كانا ينويان الدخول إلى هذا الجناح.

بدا الأمر فظيعاً، أفظع من أي شيء آخر حصل معها يوماً على الإطلاق. لا بد أن تيناهي المرأة التي كانت سترافق جاك إلى باريس، قبل أن تفسد ماتي عمداً خطتهما بتبديل تلك البطاقات الخاصة بباقات الأزهار. لكن ذلك لم يعد مهماً الآن، فتينا أصبحت هنا. بل لم يقتصر الأمر على هذا،

وإنما يبدو أنها أيضاً تخلّصت من زوجها.

أين يضع ذلك ماتي بالتحديد؟

* * *

www.elromancia.com

٧ ـ لن تلهو على حسابي

ـ ماتي؟ ماتي، هل أنت مستيقظة؟.

سمعت طرقة أخرى على باب غرفتها مع هذا السؤال.

إنّها لا تزال مستيقظة بالتأكيد، مستيقظة وتعيسة. لكنّها لن تسمح لجاك بالدخول إلى غرفتها في هذه الساعة المتأخرة من الليل... نظرة سريعة إلى الساعة المضيئة بجانبها أعلمتها أنّها الثانية والنصف بعد منتصف الليل.. فمهما كان ما سيقوله، لن يخفف عنها تعاستها هذه. حسناً فعلت حين فكرت بإقفال الباب المفضي إلى الغرفة المشتركة بينهما قبل أن تخلد إلى النوم.

عاد يكلّمها بإلحاح: «ماتي، أحتاج حقاً للتحدث إليك».

إنّها واثقة من ذلك! حسناً، يمكنه أن ينتظر حتى الصباح، طالما أن كل ما يرغب بشرحه لها هو أن تينا أصبحت هنا الآن، وعليها هي أن تغادر إلى إنكلترا.

استمرّ يلحّ باحباط: «ماتي...؟».

اذهب من هنا، قالتها بنفس مكتوم، اذهب ودعني لوحدي!

على أي حال، ليست غلطة جاك إذا كانت تينا قد أتت إلى باريس. هذه الفكرة لم تجعلها تشعر بحال أفضل، أو بأدنى تعاطف مع جاك. فلو لم تكن حياته في الأساس مبنية على الفوضى لما حصل كل ذلك، ولما قابلته هي ووقعت في حبه أيضاً.

تأوّهت ساخرة من نفسها؛ يا لك من بلهاء!

أدركت ماتي أن الوضع أصبح الآن أكثر سوءاً، بسبب ذلك العناق

الذي كانا يتبادلانه قبل أن تقاطعهما المرأة الأخرى بحدّة.

إنّها أكثر من بلهاء.. أنّبت نفسها بشدّة.

شجّعها بنعومة: «ماتي، دعيني أدخل، هم؟ نحن نحتاج للتحدث معاً. أعرف كيف يبدو لك الأمر، لكن أنا.. يجب أن أشرح لك».

ما الذي سيشرحه؟ سيقول إن إحضاره لها إلى هنا هو غلطة؟ إن عناقهما كان غلطة أيضاً؟ وإنه سوف يصحّح هذا الوضع بإعادتها إلى إنكلترا بأسرع وقت ممكن؟.

حسناً، لا داعي لأن يزعج نفسه، فهي قادرة على حجز بطاقة بنفسها للعودة إلى منزلها.

سمعت تنهيدة جاك عبر الباب: «حسناً، لكن يجب أن نتحدث ماتي. أريد أن أشرح لك. أن.. أوه، تباً لذلك..».

غمغم بنفاد صبر قبل أن يبتعد: «لا يمكنني التحدث إليك عبر باب مقفل. سأكلمك فيما بعد».

ربما أمكنه القيام بذلك، وربما لا. فهذا يتعلق بمدى تمكّنها من العودة بسرعة إلى إنكلترا. سواء كان الطقس ماطراً أم مشمساً، وبالرغم من جاك بوتشامب، سوف تعود إلى ديارها اليوم. ما كان عليها أن تقبل بالمجيء في الأساس إلى هنا.

لم تكن تظنّ أن بضع ساعات ستبدو لها طويلة بهذا الشكل. أخيراً، نهضت في الساعة السادسة. ارتدت بنطلون جينز مع قميص قطني فوقه سترة. تأكدت من عدم وجود حركة في المكان قبل أن تغادر غرفتها بهدوء تام.

بدت باريس في تلك الساعة المبكرة من صباح السبت مقفرة أكثر من أي مكان في العالم. جلست ماتي وحيدة على أحد المقاعد، فيما بضع حمامات تروح وتجيء عند قدميها، وهي تنقر البلاط بمناقيرها آملة ببعض الطعام. قالت ماتي معتذرة: «آسفة، ليس معي طعام لك».

اعتقدت في السابق أن افتراقها عن ريتشارد قد آلمها، أمّا الآن فهي تشعر

بأن كبرياءها قد تحطّمت بسبب ما حصل. لماذا تشعر بذلك؟ وتذكرت على الفور أن المشكلة تكمن في أنها وقعت في حب الشخص غير المناسب؛ جاك بوتشامب.

أهو ابن وأخ عطوف، أم زير نساء؟

لفترة وجيزة خلال الليلة الماضية، اعتقدت ماتي أنه رجل عطوف مقرب من أسرته، لكن مجيء حبيبته المتزوجة تلك يعني أن الصفة الأخيرة تنطبق عليه تماماً.

مع ذلك فهي تحبه، على أي حال. يا له من أمر سخيف، و...

وإذا بصوت يقول بلهجة انكليزية: «مرحباً! لم أكن أعتقد أني سأجد شخصاً مستيقظاً في مثل هذه الساعة من الصباح».

بدت ماتي مستغرقة في تفكيرها حتى لم تلاحظ وجود شخص آخر في الجوار. أجبرت نفسها على الابتسام للمرأة المسنّة التي جلست على المقعد إلى جانبها بالقرب من برج إيفل.

وحيّتها بصوت أجشّ: «صباح الخير».

ردّت عليها المرأة المسنّة بابتسامة كئيبة: «تصوّرت أنّك امرأة إنكليزية، فلا أحد يخرج في الصباح الباكر سوى الكلاب المسعورة والنساء البريطانيات».

ضحكت ماتي بنعومة، فقد أحبّت تلك المرأة بشكل غريزي. إنها على الأرجح في الستينات من عمرها، يتخلل الشيب شعرها، أما عيناها فتنضحان باللطف في وجهها المرسوم بدقّة. وتدل هيئتها على أنها جدّة حنونة... أحبّتها بشكل غريزي.

تابعت المرأة تقول بلطف: «مع أنّك يا عزيزتي لا زلت صغيرة في السن لكي تعاني من الأرق».

هزّت ماتي كتفيها: «أردت فقط أن ألقي نظرة على المكان لأنني سأعود اليوم إلى إنكلترا».

قالت المرأة بتعاطف: «أوه، يا للخسارة. وهل تمتّعت بإقامتك هنا؟».

ثم تابعت بجدية بنفسها على سؤالها: «لا شكّ في ذلك. لا بد أنّك تمتّعت بالإقامة في باريس».

شعرت ماتي بالارتياح لذلك، لأن جوابها هي سيكون مختلفاً تماماً. ابتسمت المرأة بشيء من الكآبة: «أتيت للمرّة الأولى إلى باريس منذ خمسة وثلاثين عاماً، لقضاء شهر العسل. وكأن ذلك حصل بالأمس القريب».

ثم تابعت ضاحكة: «لكني أظنّ أن أولادي الخمسة وأحفادي الثلاثة، لن يوافقوني في ذلك. ألاّ تعتقدين هذا؟».

تكلمت ماتي ببطء منتقية كلماتها بحذر: «الجو في باريس رومنسي جداً».

نظرت إليها المرأة بفضول: «هل أنت هنا برفقة صديقك؟».

لم يكن بمقدور ماتي أن تفكّر بأن جاك بوتشامب هو صديقها، أو حتى صديق أي امرأة أخرى. فهو يحتفظ بسحره لنفسه ليبقى حرّاً من الارتباط بأي امرأة. أجابت بفتور: «كلا. أنا.. كلا ليس الأمر كذلك. إنها فقط... لم تكن زيارة ناجحة».

ابتسمت المرأة ابتسامة حزينة: «يا للخسارة».

وتابعت تقول بحماسة: «أنا هنا من أجل احتفال عائلي. سنقيم عشاءً لمناسبة خطوبة ابنتنا الصغرى».

راحت أجراس الإنذار تقرع في رأس ماتي ما إن سمعت بذكر حفلة العشاء. أن تكون هذه المرأة هنا لأجل خطوبة ابنتها، لهو أكثر من صدفة. لا بد أن هذه المرأة هي والدة جاك!

ألقت على المرأة الجالسة بقربها نظرة مختلفة، علّها تلاحظ أيّ شبه بين هذا القوام الرقيق وهذا الوجه المرسوم بدقة وبين ملامح جاك، فلم تجد. لا بد أن جاك يشبه والده إذاً. فماتي قد استبعدت أن تكون هناك أسرتان بريطانيتان تحتفل كل منهما بخطوبة ابنتها في باريس خلال نهاية هذا الأسبوع.

قالت ماتي بارتباك وهي تنهض واقفة: «أظنّ من الأفضل أن أذهب».

ثم أضافت بصدق: «أنا.. سررت بالتحدّث إليك. أتمنى أن تكون حفلة العشاء موفقة».

ابتسمت لها المرأة الأخرى: «شكراً لك، عزيزتي».

استدارت ماتي مبتعدة. أحسّت بثقل في قدميها وأكثر منه في قلبها.

ـ كنت آمل أن تنضمّي إلينا ماتي. أنت ماتي أليس كذلك؟

شعرت ماتي بدوّار لدى سماع اسمها، وراحت تنظر إلى المرأة بعينين ذاهلتين. إن التحدث إلى والدة جاك ولو عن غير تعمّد كان كافياً ليشعرها بالسوء. فكم بالأحرى إذا كانت المرأة الأخرى تعرف تماماً هويتها؟ ما يستدعي السؤال التالي: كيف عرفت هذه السيدة من تكون؟

دعتها والدة جاك بلطف إلى الجلوس وهي تربت بيدها على المقعد الخشبي: «هيا ماتي، اجلسي من جديد. بالمناسبة، أنا أدعى بيتي بوتشامب».

تحركت ماتي بصورة آلية ملبية دعوتها، فجلست بتثاقل على المقعد إلى جانب المرأة، فيما لا تزال تحدّق فيها بعينين واسعتين.

تلعثمت وهي تعرّف عن نفسها: «أ.. أنا ماتي كراوفورد».

شرحت لها المرأة: «لا داعي للقلق ماتي. هل يمكنني مناداتك ماتي؟ أنا لست عالمة بالغيب أو شيء من هذا القبيل. كل ما في الأمر أنني رأيتك مساء أمس برفقة جاك وأنتما تغادران الفندق».

في ذلك الوقت لم تكن ماتي تعي أي شيء حولها باستثناء جاك... وافقت بحذر: «آه».

بدا الحزن على وجه بيتي، وهزّت رأسها: «لا أدري ما الذي قام به جاك ليكدرك، عزيزتي. لكن يبدو واضحاً أنه فعل شيئاً ما. وهذا مؤسف، لأنكما بدوتما سعيدين جداً معاً في الليلة الماضية».

كان ذلك قبل وصول تينا، قبل أن تدرك ماتي أن وجودها هنا خلال نهاية هذا الأسبوع أمر لا ضرورة له. والآن، ليس لديها فكرة عما تعرفه بيتي عن اتفاقها مع جاك، لذا لم تعرف بما عليها أن تجيبها، ففضّلت

السكوت.

أومأت بيتي: «سررنا جداً، أنا وإدوارد، عندما اتصل بنا جاك مساء الأربعاء ليخبرنا أنه سيحضرك معه خلال نهاية الأسبوع...».

ردّت ماتي بحدّة: «الأربعاء؟ لكن أنا... ألا يحضر جاك دوماً... نساءً معه؟».

قالت بيتي بنبرة متساهلة: «أوه، كلاّ. إنها المرّة الأولى التي يعرّفنا فيها على... صديقته. لذا شعرنا بالتفاؤل كثيراً، فجاك متحفّظ جداً في حياته الخاصّة».

نظراً للظروف، هذا ليس مفاجئاً! مع ذلك ظلت ماتي تشعر بالحيرة لما أعلنته المرأة، فقالت باصرار: «لكنّه كان سيصطحب معه امرأة على أي حال هذا الأسبوع...».

هزّت بيتي رأسها واثقة: «كلا، ليس حتى يوم الأربعاء».

ثم ابتسمت بلطف: «كما قلت لك، أنا وإدوارد، كنا متحمّسين جداً للقائك».

بدت ابتسامة ماتي أشبه بتكشيرة، فقد بدا لها هذا الحديث غامضاً. لقد أكّد لها جاك أن قيامها بتبديل بطاقات باقات الأزهار عمداً أفسد علاقاته بصديقاته.. لكن هل قال ذلك حقاً؟

حاولت أن تتذكّر ما جرى من حديث بينها وبين جاك، أن تستعيد بالضبط ما قاله بهذا الشأن، لكنها وجدت صعوبة في ذلك. عادت بيتي لتتكلم من جديد وقد بدت مرتبكة بعض الشيء: «أعرف أن جاك يبدو أحياناً.. مستبداً على طريقته. لقد ورث ذلك عن أبيه، وأنا تعلّمت، بعد سنوات من الخبرة، كيفية التعامل مع هذا الطبع».

ثم تابعت بنبرة متساهلة: «لكن جاك ابن لطيف، مراع لشعور الآخرين أيضاً. ما يجعل الأسرة تتغاضى عادة عن.. أي هفوة يرتكبها».

راح رأس ماتي يضجّ بآلاف الاحتمالات والتساؤلات: «أخبريني سيدة بوتشامب...».

قاطعتها المرأة بلطف: «بيتي، أرجوك».

استأنفت ماتي ببطء: «أخبريني بيتي، ما دام جاك مراعياً لمشاعر الآخرين، لمَ لا يرسل إليك الأزهار؟».

فوجئت المرأة بهذا السؤال الغريب. واعترفت ماتي في سرّها بغرابته، لكن ما ستقوله بيتي بوتشامب بهذا الشأن هو أمر في غاية الأهمية بالنسبة إليها.

- كيف عرفت بذلك؟ يا لبراعتك! يعرف جاك أنني أعترض على قطف الأزهار. فأنا أفضل أن تبقى على أمّها وأن نتمتع بها هناك بدلاً من إحضارها إلى المنزل لتذبل وتموت. وعندما يرسل جاك الأزهار للفتيات يحضر لي شتولاً لأزرعها في الحديقة. أصبح لدي قرابة الخمسين منها حتى الآن».

ردّدت ماتي وقد بدت الحيرة في صوتها: «الفتيات؟».

أجابتها بيتي بفخر: «أعني بناتي الأربع. ألم أخبرك أن لدي خمسة أولاد؟ جاك هو البكر، بالتأكيد. ثم كريستينا وبعدها التوأمان: سارة وكارولين، وأخيراً...».

- الكساندرا.

أكملت ماتي جملة بيتي بأسرع مما أرادت. لكن إذا كان ما تفكر به صحيحاً.. استطردت بهدوء: «أتكون هي ساندي؟».

قطّبت بيتي قليلاً مؤكّدة: «نعم، بالطبع. وهذا هو زواجها الثاني. لكن زواجها الأول كان كارثة. لذا فنحن مسرورون جداً لأننا نحتفل بحصولها على فرصة أخرى للسعادة».

لم ترغب ماتي بسماع المزيد من قصص عائلة بوتشامب، بالرغم من أن هذا الشرح جعلها تدرك أن «ساندي» هو الاسم الآخر لشقيقة جاك وهي إحدى اللواتي أرسلت لهن باقات الأزهار.

- بناتك الأخريات هن تينا، سالي وكالي؟.

- تتسبب التسميات ببعض اللغط أحياناً، أليس كذلك؟

ثم فكّرت قليلاً لتقول بحنو بالغ: «في الواقع، جاك هو أيضاً جوناثان.

لكننا ندعوه دائماً جاك».

سوف تقتله عندما تراه. لا شك في ذلك! أولئك النساء الأربع، اللواتي كانت تظنّهن صديقاته. هن جميعاً شقيقاته. هذا أمر لا يصدّق. إنه مدهش تماماً!

لم تعد تهتم في تلك اللحظة إن كان جاك حاول أن يخبرها من قبل بأن ليس لديه أربع صديقات. فهو قد ابتزها وأقنعها بالمجيء معه إلى باريس في عطلة نهاية الأسبوع بسبب ادعاءات كاذبة. ولم تكن لديها فكرة عن سبب قيامه بذلك. فكل ما تعرفه أنه كاذب، قد احتال عليها وابتزّها...

أحسّت ماتي في تلك اللحظة بالغضب، إلى درجة لم تستطع معها إيجاد المزيد من الأوصاف لتلصقها بجاك. لكنها لا شك ستجد المزيد منها من الآن إلى أن تلتقي به. فهي لم تعد تنوي المغادرة اليوم، على أي حال.

لقد كذب عليها جاك حين قال بأن إحدى صديقاته كانت سترافقه في هذه الرحلة، لتبعد عنه انتباه شارون. وأنه يحتاج إليها لتحلّ مكانها... فهو لم يكن ينوي إحضار أي امرأة معه من الأساس.

لقد أحضرها معه إلى باريس مستخدماً ادعاءات لا أساس لها من الصحة، ولسبب لا زالت تجهله. وهذا يجعل ذنبه، في نظرها، أكبر من ذنبها حين بدلت تلك البطاقات في باقات الأزهار. سيكون من المثير أن ترى كيف سيتصرف مع أسرته مدعياً بأن الأمور رائعة من حوله.. فيما هو يدرك أن والديه يعلقان الكثير من الآمال على علاقته بماتي.

وقفت ماتي معلنة بإصرار: «هلاّ عذرتني، بيتي. أظنّ أن عليّ العودة إلى الفندق الآن. فربما تمكنّا، أنا وجاك، من حلّ هذه المشكلة الصغيرة».

ابتسمت بيتي بابتهاج: «أوه، أتمنّى ذلك. العائلة تتطلع قدماً للقائك».

أحست ماتي بوخزة من الشعور بالذنب. لكنها قالت لنفسها بأن جاك هو من عليه أن يشعر بالذنب لا هي، فما كان عليه أن يخدع أسرته بهذه الطريقة مهما كانت الأسباب.

ـ أخشى أنك لن تجدي جاك في الفندق الآن، فقد ذهب إلى المطار لملاقاة زوج ابنتي الكبرى.

ثم هزّت رأسها وأضافت مقطّبة: «كما تعلمين، أتت تينا إلى هنا بالأمس معلنة أنها تركت زوجها جيم. إنّها حادّة الطباع، كما أخشى. لكنها تمادت كثيراً هذه المرّة، فجيم شاب ممتاز».

إذاً، فجاك ذهب إلى المطار لإحضار صهره. هذا يفسّر حالة اليأس التي بدت على جاك وإلحاحه للتحدث إليها في الساعة الثانية والنصف صباحاً. فقد أراد أن يوضح لها الموقف، قبل أن تقوم بأي تصرف.

حسناً، ليس عليه أن يقلق بهذا الشأن، فماتي لم تعد تنوي الذهاب إلى أي مكان بل ستعود إلى الفندق. لكن ما يجدر به أن يقلق بشأنه حقاً هو الطريقة التي ستتصرف بها خلال ماتبقى من عطلة نهاية الأسبوع هذه. إذا كان جاك يشعر بالمتعة لأنه خدعها وجعل منها بلهاء في الأيام القليلة الماضية، فسوف تلقنه درساً في مقابل ذلك.

قالت ماتي مطمئنة بيتي بوتشامب: «أنا متأكدة بأنهما سيتجاوزان المسألة».

ثم أكملت تشجع المرأة المسنّة التي بدت مشكّكة: «إنها باريس، على أي حال».

أشرقت ملامح بيتي: «نعم. إنها كذلك. أنا مسرورة جداً لقرارك بعدم الرحيل».

نظرت ماتي إلى المرأة المسنّة: «حسناً. بيتي، ربما من الأفضل ألاّ نذكر أمر هذه المحادثة الخاصة بيننا لجاك. سأخبره بالطبع بأننا التقينا نحن الاثنتان، لكن لا أظنّ أنه سيحبّذ فكرة مناقشة شؤونه فيما بيننا بهذه الطريقة».

وافقتها بيتي على الفور وبدا واضحاً أنها ارتاحت لهذا الاقتراح: «أنا واثقة من ذلك. عندما رأيتك تغادرين الفندق باكراً، شعرت بدافع لكي أتحدث إليك. ولست نادمة الآن على ذلك».

ثم ابتسمت لماتي: «أتشوق كثيراً للقائك مرة أخرى هذا المساء».

ـ شكراً لك.

استدارت ماتي ومشت ببطء عائدة إلى الفندق. ما الذي يفكّر فيه جاك بحق السماء؟ حسناً. إنّها تتفهّم انزعاجه من تحرشات شارون شقيقة صهره.. ورغبته بإبعادها عنه دون أن يسبب الحرج لأي كان. لكن ألم يفكّر ببقيّة أفراد أسرته؟ أخبرهم بأنه سيصطحب معه صديقته، وهو لم يفعل ذلك من قبل. فما الذي يمكن أن يفكّروا به؟

سيفكّرون بما فكّرت به بيتي بوتشامب تماماً: أن علاقتها بجاك جديّة.

استنتجت ماتي أن جاك لم ينتبه لهذه الناحية على الإطلاق. فكل ما يهمّه هو حماية نفسه من شارون وتفادي تقرّبها منه... فيما يلهو قليلاً على حساب ماتي.

حسناً. سوف نرى لاحقاً من الذي سيلهو على حساب الآخر!

* * *

٨ ـ إنها البداية . . . فقط!

ـ ماتي، أنا . . ما الذي تفعلينه؟

كادت ماتي تطلق ضحكة عالية أمام النظرة الذاهلة التي بدت على وجه جاك، بعد أن ارتمت بين ذراعيه، ورفعت رأسها مستعدة لعناقه.

ألقت نظرة متفحّصة على غرفة الجلوس من وراء ظهره قبل أن تتراجع: «فكّرت أنه من الأفضل أن أظهر بعض الحماسة، فربما كان أحدهم يراقبنا».

كانت واثقة من أنّهما بمفردهما. لكن كيف لجاك أن يعلم أنّها ألقت نظرة على غرفة الجلوس قبل دقائق، وذلك عندما أحسّت بقدومه من المطار.

شعر جاك بتوهّج في خدّيه: «هذا يستحقّ الثناء حقاً».

مرّر يده في شعره الأسود الكثيف وقد بدا عليه التعب. رفعت ماتي حاجبيها متعجّبة، فقال مبرّراً: «لا بد أن ذهني مشوّش، فأنا أشعر بالحرارة والرطوبة. فأنا متعب حقاً».

بدا جاك مرهق تماماً. لا بد أن محاولته التوفيق بين أخته وزوجها قد استنفدت طاقته، لكن ماتي ليست في مزاج يسمح لها بالأسف عليه. نظرت إليه بعينيها الزرقاوين نظرة لعوباً متعمّدة إزعاجه: «لست بمزاج يسمح لك بإظهار مشاعر الحب. همم؟».

أملت ألاّ تفضحها نظرتها تلك، فهي لا تريد أن يدرك جاك أنّ لعبته قد انكشفت. لا . . . لا تريده أن يكتشف ذلك الآن . . .

ـ هل تودّ أن أطلب لك بعض الطعام، بينما تستحمّ وتستعيد نشاطك؟

من التعبير المذهول الذي ظهر عليه، أدركت ماتي أنه يشعر بالحيرة التامّة إزاء تصرفها اللطيف معه، بعدما حصل بينهما مساء أمس. وهذا ما تريده بالضبط. أتراه يظنّ بأنها أخذت الأمور بجديّة بعد أن أمضيا تلك الأمسية الحميمة معاً؟

خلال الساعات التي أمضتها ماتي وهي تنتظر عودته من المطار، قررت أن تلعب دورها ببراعة. ونظراً لما باتت تعرفه الآن، فهي لن تسمح له بخداعها ثانية.

ـ بالمناسبة، لقد تلقيت رسالتك.

بعد عودتها إلى الفندق إثر تلك الرحلة الصباحية المبكرة التي قامت بها، سلّمها مكتب الاستقبال رسالة قصيرة جاء فيها: «ذهبت إلى المطار. لا تقومي بأي تصرف قبل عودتي. جاك».

لا تقومي بأي تصرف قبل عودتي. . ! ماذا يظنّها؟ حيوان مطيع يسير وراءه كالأعمى، كما يفعل «هاري»؟ إذا كان يظنّها كذلك . . .

بعد أن اتّضح لجاك سبب بقائها هنا، تشدّق قائلاً: «حسناً . . أنت . . ».

التقطت ماتي سماعة الهاتف بسرعة: «ألا تودّ أن تتناول الغداء؟».

وتابعت تشجّعه: «أنا طلبت سندويش منذ قليل، إنّه لذيذ».

وافق جاك وهو لا يزال مشوشاً تماماً للموقف المتفهّم الذي تبديه: «يبدو السندويش فكرة جيدة».

إن شعوره بالحيرة أمر مبرّر تماماً. فبعد تلك الأمسية التي أمضياها معاً، وبعد ظهور تينا المفاجيء أمام ناظري ماتي، لا بد أن يتفاجأ من موقفها هذا، فهو لا يدرك أن ماتي باتت الآن تعرف من هي تينا. حسناً! إنها البداية فقط.

قالت ماتي بمرح: «بالمناسبة، التقيت بوالدتك هذا الصباح».

منعت نفسها من الابتسام وهي ترى جاك يفشل في إخفاء مفاجأته لهذا الخبر. تلك المفاجأة التي تبعها قلق مشوب بالحذر: «أمّي، لكن . . ».

في تلك اللحظة بدأت ماتي تقول بعد تلقيها الإجابة من خدمة الغرف:

«هنا خدمة الغرف؟ أود طلب سندويش من فضلك».

ثم غطّت بيدها السمّاعة لتسأل جاك بمرح: «هل تود بعض العصير؟».

أجاب وهو لا يزال ينظر إليها بحذر: «أظنّ أنني أرغب بكوب كبير من القهوة».

طلبت ماتي له القهوة أيضاً وأعطت الموظف رقم الغرفة. ثم وضعت السماعة ووقفت لتنظر إلى ساعتها قائلة بأسف: «عليّ الذهاب الآن، أخذت موعداً من صالون التجميل الذي يقع في الطابق السفلي من الفندق، لبعد الظهر».

ثم تابعت موضحة: «أودّ أن أبدو بأفضل صورة هذا المساء».

بدا الذهول على وجه جاك أكثر من ذي قبل: «ماتي..».

التقطت ماتي حقيبتها استعداداً للخروج: «لو كنت مكانك، جاك.. لخلدت إلى النوم قليلاً بعد تناول الغداء. فأنت تبدو منهكاً جداً».

غمغم باستياء: «فيما تبدين أنت مشرقة ومرحة».

تجاهلت ماتي التعبير المتجهّم الذي بدا على وجهه، لتقول بمرح وحماسة: «لم لا أكون كذلك؟ فنحن في باريس. سأمضي فترة بعد الظهر وأنا أدلّل نفسي في صالون التجميل، ثم نذهب لتناول العشاء مساءً في برج إيفل. ماذا أطلب أكثر من ذلك؟».

نظر إليها جاك مقطّباً: «لكن مساء أمس..».

قاطعته متجاهلة ما يرمي إليه: «أنا متأكدة أنك قد تدبّرت الأمر فيما يتعلق بمساء أمس. كما أظنّ أن أسرتك تتوقع رؤيتي أنا، أليس كذلك؟ والآن عليّ أن أذهب حقاً، جاك».

ألقت نظرة أخرى على ساعة يدها وأسرعت تسير باتجاه الباب. وقبل أن تغادر الغرفة أضافت بنبرة صادقة: «بالمناسبة، أمك امرأة لطيفة».

حسناً! من الذي يشعر بالارتباك الآن؟ شعرت ماتي بلذة الانتصار وهي تفكّر بذلك فيما هي تستقل المصعد لتنزل إلى الطابق السفلي من الفندق. لقد

تركت جاك يتخبط في عالم من الغموض وهو غافل عما يجري حوله. من المؤكد أنه ليس مسروراً لذلك.

تعمّدت ماتي أن تشغل نفسها طيلة بعد الظهر في صالون التجميل، لكي تتجنب أن تجيب على الأسئلة التي يتحرق جاك شوقاً ليطرحها عليها. قرّرت أن تتمتع بالتجربة وأن تسترخي تماماً. جعلها استسلامها لهذا النوع من التدليل تشعر بالراحة الجسدية والفكرية.

قالت لنفسها وهي تنظر إلى أظافرها المطلية بعناية: لا تعتادي على هذا الأمر، فسوف تعودين إلى العمل كالمعتاد صباح يوم الثلاثاء.

ستعود إلى عملها المعتاد حيث لا وجود لجاك بوتشامب. خبا ذلك الشعور بالرضى الذي شعرت به للتو ما إن فكرت بذلك. فهي، رغم كل شيء، تعرف أنها وقعت في حب هذا الرجل. فهي تحبّه رغم ما يسببه لها من غيظ وحيرة وارتباك. وما تقوم به الآن ما هو...

قطع عليها أفكارها بصورة غير متوقعة، سماعها لمحادثة كانت تجري في الحجرة المجاورة. قالت المرأة بثقة: «أمي وأبي متأثران جداً بمسألة حمل تينا».

أجابت المرأة الأخرى بحماس: «كذلك تينا. توقعت أن تكون ردّة فعل جيم أكبر حين زفّت إليه الخبر السعيد، لكن ردّه أصابها بالصدمة حين أعلن أنه خطّط لقضاء عطلة الميلاد القادمة في التزلج، وأسف لخسارتها. إنها روح الدعابة لديه جيم، لكن تينا لم تدرك ذلك إلاّ بعد أن هدأت».

قالت المرأة الأخرى متعاطفة: «الحمل يجعل المرأة سريعة الانفعال. ألا تفكرين كم جعلنا ذلك شديدتي الحساسية؟».

مالت ماتي قليلاً إلى تلك الجهة. أزاحت الستارة التي تفصل بين الحجرتين قليلاً. رأت امرأتين جميلتين متشابهتين تماماً، فلم تشك أبداً بأنهما التوأمان سالي وكالي بوتشامب. لم تكن المرأتان متشابهتين في ما بينهما فقط، بل هما تشبهان إلى حدٍ بعيد شقيقتهما الأكبر جاك بشعرهما الأسود وعيونهما السوداء.

قالت إحداهما متفكّرة: «أتساءل كيف تبدو صديقة جاك. أظنّ أنّنا جميعاً متحمسون لرؤيتها أكثر مما نحن متحمسون لخطوبة ساندي أو حمل تينا».

أعادت ماتي السنارة بسرعة إلى مكانها. شعرت بالحرارة والاحمرار يعلوان خديها لاستراقها السمع على حديثهما. لكن اخصائية التجميل لم تكن قد أنهت بعد طلاء أظافر يدها اليسرى، لذا اضطرت إلى البقاء والاستماع إلى بقية الحديث.

أكّدت التوأم الأخرى بثقة: «تقول ماما إنها لطيفة جداً. من المؤكد أنّها لا تشبه تلك «الباحثة عن الذهب» التي ظننّا جميعاً بأن جاك سيقع في شباكها».

الباحثة عن الذهب؟.

ـ كاد جاك يبدو كالأبله.

أبله؟ جاك؟ هذا لا يشبه أبداً جاك الذي تعرفه ماتي وتحبه!

أكّدت الشقيقة الأخرى: «ماما تؤكد أن صديقته لا تشبهها على الإطلاق. لكن أيّاً تكن المرأة التي سوف يتزوجها جاك، ستراها أمي رائعة. بل أظنّنا جميعاً سنراها كذلك، لأن جاك اختارها».

لقد سمعت ماتي ما فيه الكفاية!.

لا يمكنها أن تلوم شقيقتي جاك التوأمين على تكهّناتهما بشأن المرأة التي أحضرها جاك معه؛ فهما لا شك تشعران بالفضول لذلك. لكن الفكرة التي أزعجتها هي أن تعتقدا أنّها طامعة بأموال جاك. فهذا سيشكل فرقاً كبيراً بالنسبة للطريقة التي ستتصرف بها إزاء أسرته هذا المساء.

ما إن أنهت طلاء أظافرها حتى أبعدت يدها ووقفت. قالت للموظفة بلهجة رسمية: «شكراً لك! كم يتوجب علي أن أدفع؟».

تمنّت ماتي لو أنّها تبعت غريزتها، وغادرت باريس صباحاً قبل أن تلتقي بمزيد من أفراد عائلة بوتشامب. لا شك أنهم يتمتعون بجاذبية أخّاذة. شعرت، في الواقع، أنّها ستبدو كفرخ البط البشع بين عدد من الأوزات

الرائعات الجمال. ومهما يكن السبب الذي يدعو جاك لتجنب شقيقة صهره الجديد، فقد تصرف بغباء تام بإحضارها إلى هنا لمقابلة أفراد أسرته. من الواضح أنهم يتوقعون سماع أخبار سارّة، مفترضين أن مجرد وجودها إلى جانب جاك بمثابة إعلان من قبله عن أهميتها في حياته. لمَ لم يفكّر جاك بذلك؟

هزّت ماتي رأسها بنفاد صبر، وهي تسير خارجة من الفندق بدلاً من التوجه إلى الجناح الخاص بهما، هي وجاك. بدت ممزّقة بين رغبتها بتلقين جاك درساً لأنه استعمل الخداع ليجعلها ترافقه إلى باريس وبين تمنّيها بألاّ تخذله أمام أسرته التي تحبّه وتهتم لأمره. جلست على العشب بالقرب من برج إيفل، وسرعان ما أدركت أن الخيار الثاني هو الأنسب..

لقد تركت جاك في موقف مربك هذا الصباح. وكانت تنوي بأن تسبب له المزيد من الارتباك، بعد ما حصل بينهما من توتر خلال الليلة السابقة. لكن معرفتها بعائلته جعلت ذلك مستحيلاً الآن. يا لها من فوضى!

عليها أن تغيّر خطتها... من أجل جاك. ليس فقط لتبعد عنه شارون. إنّها تهتم لأمره كثيراً ولا تريد أن تخذله أمام أسرته هذا المساء، حتى لو كلفها ذلك الاستمرار بلعب دور الفتاة التي يحبّها.

* * *

ـ تبدين رائعة تماماً!

قال لها جاك ذلك ما إن انضمت إليه في غرفة الجلوس، وذلك لوقت قصير بعد أن تجاوزت الساعة السابعة مساءً.

ارتدت ماتي فستان السهرة الآخر الذي ابتاعته خصيصاً لنهاية هذا الأسبوع. وهو فستان من القماش المخرّم قصير الأكمام يصل حتى ركبتيها، ذو لون عاجي يظهر بوضوح جمال الخصلات العسلية في شعرها الأشقر المصفّف بعناية وأناقة..

ـ شكراً لك.

كانت هذه المرّة الأولى التي ترى فيها جاك منذ عودتها إلى الفندق. يبدو

أنّه قد سمع نصيحتها وأخلد إلى النوم خلال فترة بعد الظهر. فهمت ماي ذلك من الصمت الذي كان يسود في جناحهما، كما أن جاك لم يعد يبدو منهكاً كما كان من قبل. ها هو الآن يرتدي بذلة سهرة سوداء وقميصاً أبيض، ما يجعله يبدو جذاباً بشكل ساحق، ويجعل عقل ماي مسلوباً.

ـ ماي، قبل أن نذهب، أظن أنه عليّ أن...

قاطعته ماي متجنبة النظر إليه بقدر الإمكان، لأن النظر إليه يكاد يسلبها حواسها: «اتصلت والدتك منذ قليل.. بما أنك كنت لا تزال نائماً، أجبت أنا على اتصالها».

فوجىء جاك بكلامها فرفع حاجبيه، إلا أنها أكملت مفسّرة: «فهمت من كلامها أننا سنلتقي جميعاً عند أسفل الدرج في السابعة والربع لتناول الشاي قبل الذهاب إلى المطعم».

ازداد عبوس جاك: «سنلتقي... نحن؟».

أكّدت ماي بسرعة «نعم، نحن».

وتحرّكت باتجاه الباب: «بما أن الموعد بات وشيكاً، أقترح أن ننزل الآن...».

حدّقت فيه بعينين ضيقتين فلم يبد حماساً للحاق بها. أجفل قليلاً ليقول: «ماي! أملت أن تمنحيني فرصة للتحدث إليك بعد عودتنا إلى الفندق الليلة الماضية..».

قالت باندفاع: «لكننا قوطعنا بفظاظة».

قال جاك معترفاً: «نعم. هناك أمر أود أن أخبرك به قبل نزولنا للقاء بقية أفراد الأسرة..».

اقترحت ماي وهي تسير نحو الممشى المغطى بالسجاد: «يمكنك أن تخبرني بما تريد ونحن في الطريق».

إلاّ أنّها تعرف تماماً ما يريد أن يخبرها به، ففكّرت أن الوقت بات متأخراً الآن للإدلاء بالاعترافات. إضافة إلى ذلك، فهي لا تنوي إعطاءه الفرصة للاعتراف بأي شيء. بل ترغب في رؤية الصدمة التي ستعلو وجهه حين

تلتقي بشقيقاته دون أن تبدو عليها المفاجأة لمعرفة هويّاتهن، فهو يدين لها بذلك على الأقل بعد أن جعلها تشعر بالذنب بسبب تبديلها البطاقات.

تبعها جاك إلى الممشى. أمسك مرفقها بقوة في محاولة لمنعها من السير بسرعة، وسارع يقول ممانعاً: «اسمعي، ماي. أنا لم أكن...».

ـ جاك! ماي! انتظرا.

كادت ماي تنفجر بالضحك للتعبير المحبط الذي بدا على وجه جاك، ما إن سمع كلاهما صوت والدته. يا لجاك المسكين! لن تسنح له الفرصة أبداً ليقوم باعترافاته لها. تكاد تشعر بالأسى عليه، بمقدار ما جعلها تأسف لتبديلها تلك البطاقات.

استدارت لتبتسم لبيتي، واتسعت عيناها لرؤية الرجل الذي يسير إلى جانبها؛ إنّه يشبه جاك تماماً، لكنه يكبره بحوالى أربعين سنة. لا بد أنّه إدوارد بوتشامب! بدا الرجل طويلاً، يتخلل البياض شعره الداكن، أما وجهه فهو نسخة أكثر نضجاً عن وجه جاك الجميل. قرّرت ماي أن أفراد هذه الأسرة يملكون جاذبية متميزة.

أما بيتي فقد بدت أنيقة بامتياز بفستانها الأسود الطويل. قالت بلطف: «ماي، هذا هو زوجي إدوارد. إدوارد، هذه ماي، صديقة جاك».

نظرت ماي إلى وجه إدوارد بوتشامب النبيل، وهما يتصافحان فإذا بها ترى عيني جاك البني الدافىء. قال لها إدوارد بصدق: «سرّني لقاؤك».

أعلنت بيتي بسعادة: «أليس هذا رائعاً؟».

وشبكت ذراعها بذراع ماي بحركة تنم عن صداقة يبدو أنها جزء من طبيعتها. سارت المرأتان معاً تتقدمان جاك ووالده باتجاه المصعد.

قالت بيتي بلهجة تآمرية وبدا واضحاً أنها مسرورة من نفسها لذلك: «الفتيات يتآكلهن الفضول تماماً لأنّني سبقتهن في التعرفّ إليك».

شعرت ماي بالسرور لأن جاك كان بعيداً ولم يسمع هذه الملاحظة. كل ما كانت تريده هو الحصول على عدة دقائق من المتعة على حسابه، أن تجعله يشعر بالارتباك كما سبق أن جعلها كذلك.

تساءلت إن كان هذا يجعلها انتقامية بشكل ما، لكنها أبعدت الفكرة. فهذا لن يدوم سوى بضع دقائق فقط. ستقوم بأفضل ما لديها لمساعدة جاك، لكن هذه السهرة لن تكون مريحة بالنسبة إليه.

لقد تسبب بذلك لنفسه!

* * *

٩ ـ إنها لعبتك!

ـ هل يمكنني أن أستعير ماتي لبضع دقائق؟

قال جاك ذلك فيما كان الأربعة يقتربون من المكان الذي سيتم فيه اللقاء ببقية أفراد العائلة. كانت أصوات الثرثرة تعلو فوق صوت البيانو الخافت. استدارت ماتي لتنظر إليه وهي لا تزال ممسكة بذراع بيتي. بدا القلق على وجه جاك كأنه يستعد لمواجهة الجلاّد. ابتعدت عن بيتي لتشبك ذراعها بذراع جاك، ونظرت إليه بلا مبالاة لتؤكد بمرح: «أنا واثقة أنه سيكون لدينا متسع من الوقت فيما بعد لكي نتحدث معاً، جاك».

أحسّت أصابعها بالتوتر الذي يسري في ذراع جاك. ولم يبد مطمئناً البتّة: «لكن...».

قالت بيتي موبّخة إياه بلطف: «سوف تصاب الفتيات بخيبة أمل إذا أخبرتهن أنكما ستتأخران».

وربت والد جاك على ظهر ابنه ممازحاً: «هيّا بني، تعرف كيف هن نساء عائلة بوتشامب. بالإضافة إلى أن دخولنا معاً نحن الأربعة سوف.. يجعل ماتي تشعر بالارتياح أكثر».

حسناً، ها إن أحد أفراد هذه الأسرة يقدر صعوبة الموقف بالنسبة لماتي، مع أن إدوارد يجهل السبب الحقيقي لذلك.

قالت ماتي تشجعه: «هيا بنا، جاك».

ثم تابعت برقّة لتطمئنه بعد أن رأت التعاسة بادية عليه: «كل شيء

www.elromancia.com

سيكون على ما يرام».

أطاعها جاك على مضض. ففكّرت ماتي في سرّها أنه هو من تسبّب لنفسه بهذا الموقف. لمَ لم يخبرها الحقيقة منذ البداية؟ لو أنه فعل، لكانت الأمور أسهل بكثير.

كانت الشقيقات بانتظارهم. ساندي تضحك برقّة للرجل الطويل القامة ذي الشعر الداكن، والذي بدا واضحاً أنه خطيبها توم. تينا تتحدث إلى رجل ممتلىء الجسم. إنّه على الأرجح جيم زوجها المتبلّد الإحساس. أما سالي فكان برفقتها رجل طويل ذو شعر أشقر. كما بدا أن زوج كالي هو أيضاً طويل القامة ذو شعر أحمر. فكّرت ماتي أنه قد يكون اسكوتلندياً. كان هناك أيضاً زوجان مسنّان من المحتمل أنهما والدي الخطيب الجديد. لكن لم يكن هناك أيّ أثر حتى ذلك الوقت لابنتهما شارون.

ما إن اقترب الأربعة من المجموعة حتى توقفت كل الأحاديث التي كان يتبادلها أفراد أسرة بوتشامب مع بعضهم، واستداروا جميعاً لينظروا إلى القادمين الجدد. أحسّت ماتي بأنّ جاك يزداد توتراً كلما اقتربا، فقد راحت يده تضغط على يدها بقوة. إنّه قلق حقّاً من هذا اللقاء! ماذا يظنّ أنّه فاعل بحقّ الله؟ حتى لو لم تكن تعرف من هن تينا، ساندي، سالي، وكالي، فهي لن تقوم بحركات مسرحية أمام أسرة جاك. لكن يبدو واضحاً أن جاك ليس واثقاً من ذلك.

نظرت ماتي برقّة إلى وجه جاك الذي كان يزداد تجهماً. وقفت على رؤوس أصابعها لتهمس في أذنه بنعومة: «جاك، قدّمني إليهم فقط، وكل شيء سيكون على ما يرام».

ابتلع جاك ريقه بصعوبة: «لو أنك سمحت لي فقط بأن أشرح...».

ضغطت على يده مشجّعة: «قم بذلك فيما بعد. والآن أرجوك لا تقلق...».

علا صوت أنثوي أبحّ من خلفهما مباشرة: «مرحباً للجميع، أرجو ألاّ أكون قد تأخرت».

التصق جسم جاك بماتي وبدا متصلباً لسماع هذا الصوت المليء بالإثارة. نظرت إليه ماتي نظرة ذات معنى قبل أن تستدير ببطء لتنظر إلى القادمة الجديدة. بدت المرأة طويلة القامة، ذات شعر أسود ينساب فوق كتفيها ليصل إلى خصرها. ترتدي فستاناً قصيراً يلتصق بجسمها ذا لون يتفسجي داكن يحاكي لون عينيها.. أما وجهها فبدا كوجه دمية فاتنة مصنوعة من الخزف الصيني. أتكون هذه شارون، شقيقة توم؟

إنها هي على الأرجح، فبقية أفراد الأسرة كلّهم هنا. هل هذه هي المرأة التي يود جاك حماية نفسه منها؟ سلّمت المرأة على ساندي وتوم بوجه ضاحك، قبل أن تتحرك لتسلّم على الشقيقات الأخريات وأزواجهن.

أدركت ماتي أن شارون واعية تماماً لوجود جاك الذي يقف إلى جانبها بتوتر، حتى في الوقت الذي كانت تتحدث وتضحك مع بقية أفراد الأسرة.

أحست باهتمام المرأة الأخرى به حتى قبل أن تتوجه هذه الأخيرة لتقف أمامه مباشرة: «جاك!».

بادرها جاك بانحناءة مهذبة من رأسه: «شارون».

ـ أنا واثقة أن بإمكاننا القيام بأفضل من ذلك. ففي النهاية، سنصبح قريباً عائلة واحدة سعيدة.

غمغمت شارون بذلك قبل أن تميل إلى الأمام لتعانق جاك. ما دفعه لترك يد ماتي ليضع يديه على كتفي شارون السمراوين ويبعدهما عنه بحزم. إلاّ أنّها تابعت بإصرار: «يسرّني أن أراك ثانية».

وبحركة حميمة قسرية شكبت ذراعها بذراعه.

سبق لماتي أن سمعت نساء يقلن: أودّ لو أقتلع عينيها. لكنّها لم تشعر بنفسها بهذه الرغبة من قبل. أما في هذه اللحظة، فقد رغبت أن تقوم باقتلاع عيني شارون الجميلة بكل سرور. كيف تجرؤ هذه المرأة أن تنظر إلى جاك بهذه الطريقة، وكأنها تريد أن تلتهمه؟ بل كأنها لا تشعر بوجود أحد سواه في هذه الغرفة؟ بالرغم من أن جاك ـ والحق يقال ـ لم يشجعها البتة.

لكنّه لا يحتاج إلى ذلك! فشارون تبدو امرأة تعرف تماماً ما تريد،

وتحصل على مبتغاها. ويبدو واضحاً أنها تريد جاك بوتشامب. لكن ما لم تفهمه ماتي هو لما لا يرغب جاك بوتشامب بها كما ترغب هي به؟ أو على الأقل هذا ما أخبرها به..

في تلك اللحظة قال جاك: «دعيني أقدم لك صديقتي ماتي كراوفورد».

وتحركت ذراعه بخفّة حول خصر ماتي ليقربها منه: «ماتي. هذه شارون كسويك، شقيقة توم».

- ظننت أن صلتنا ببعضنا هي أكثر من ذلك قليلاً، جاك.

قالت المرأة الأخرى ذلك بتوتر قبل أن توجه نظرات عينيها البنفسجيتين نحو ماتي. ثم صافحتها بتثاقل قائلة دون اهتمام: «تشرفت بمعرفتك ماندي».

سحبت ماتي يدها بأسرع ما أمكنها من يد شارون، وصحّحت لها: «ماتي».

لم يساورها شك بأن شارون أخطأت في لفظ اسمها عمداً. وصمّمت أن تبادلها تلك البرودة بمثلها، فهي ليست مسرورة بلقاء شارون أكثر مما تشعر هذه الأخيرة حيالها.

التمعت في تينك العينين البنفسجيتين نظرة تحدٍ، وكرّرت بصوت مضجر: «ماتي، هل التقينا من قبل؟ ربما تعرفين...».

في تلك اللحظة تقدم منهم إدوارد بوتشامب ليقول بتهذيب: «هل أحضر لك بعض العصير، شارون؟».

وبسرعة قال جاك: «لو عذرتمانا كلاكما، أودّ أن أقدّم ماتي إلى بقية أفراد الأسرة».

منذ دقائق قليلة، كان ذلك آخر شيء يود جاك القيام به....

وافقت ماتي. ثم وجهت كلامها ببرودة إلى المرأة الأخرى: «أنا واثقة أنّ بإمكاننا التحدث في وقت لاحق، آنسة كسويك».

غمغمت شارون قبل أن تدير مبتسمة نحو إدوارد بوتشامب لتأخذ كوب العصير الذي أحضره لها: «نعم، أنا واثقة من ذلك».

- أووه...

تنفّس جاك الصعداء ما إن أصبحا بعيدين عن السمع ثم أضاف بتجهّم: «رأيت الآن ما أقصده؟».

لم تعد ماتي واثقة ما الذي يفترض بها أن تفهمه. يبدو أن شارون مهتمة لأمر جاك.. بل أكثر من مهتمّة.. كما يبدو بوضوح أن جاك يحاول تجنّب هذا الاهتمام.

لكن من المؤكّد أن ما بينهما هو أبعد من ذلك. أتكون بينهما علاقة حميمة يخفيانها؟ أمر واحد بات مؤكداً لدى ماتي، هو أن سهرتها فقدت كل رونق. لقد أصيبت بخيبة أمل كبيرة منذ دخول شارون كسويك.

عاود ماتي ذلك الشعور بأنها تبدو كفرخ بط بشع بين مجموعة من الأوزات الجميلة. بل أوزّة واحدة بالتحديد، لكنّها رائعة الجمال...

قالت بنزق: «كل ما رأيته هو امرأة جميلة».

أذعن جاك: «أوه، إنّها كذلك بالتأكيد».

شمخت ماتي بأنفها مبدية امتعاضها. فقد كان بإمكانه التقليل من جمال المرأة الأخرى على الأقل.. وإن لم يكن ذلك صحيحاً. قالت منتقدة: «ما هي مشكلتك إذاً؟».

هزّ جاك رأسه: «إنها مسألة يصعب شرحها الآن..».

ردّت ماتي بسخرية: «أنا واثقة أنك إذا استخدمت كلمات بسيطة فيمكنني أن أفهم».

التفت جاك نحوها والقلق باد على وجهه: «ماتي...».

فقاطعته: «ليس الآن، جاك».

أجبرت نفسها على الابتسام وهما يقتربان من أفراد الأسرة المجتمعين: «والآن قدمني إلى أخواتك الأربع: تينا، التوأمين سالي وكالي، وساندي».

بدا الذهول على وجه جاك وكاد يتعثر لشدة الصدمة. ومع ذلك لم تشعر ماتي بالرضى كما كانت تتوقع، ذلك أن ظهور شارون كسويك اختطف منها البهجة التي كانت تنتظرها من هذه الأمسية. إلا أنها تابعت الابتسام

لجاك بالرغم من شعورها بأنها أقرب إلى البكاء: «لو كنت مكانك لتخلصت من هذا التعبير الأبله على وجهي. هيّا قدّمني إليهم جاك، فشقيقاتك وأزواجهن يتساءلون عما يؤخرنا».

في الواقع، كان أفراد الأسرة يتجنبون النظر إليها فيما هما يتكلمان مع بعضهما همساً. لا شك أنهم يعتقدون أنّها وجاك يتبادلان العبارات الحميمة. يالله! هذا أمر آخر يجعلها تتوهم أنّ بإمكانها أن تكون سعيدة مع جاك. يمكنها الآن أن تسامح جاك على حيلته الصغيرة، وهي تأمل أن يتمكن كلاهما من تمضية سهرة ممتعة. ومن يدري؟ قد ينتهي بهما الأمر كما كاد ينتهي في الليلة الماضية لولا مقاطعة شقيقته لهما...

إلا أن شيئاً من ذلك لن يحصل! والغلطة هي غلطتها هي. فجاك بدا الليلة الماضية لطيفاً معها، ورفيقاً رائعاً، لكنه لم يفصح لها عن أي مشاعر على الإطلاق. فلن تلوم سوى نفسها إن كانت قد وقعت في حبّه.

أخيراً، تمكن جاك من التخلص من التعبير المذهول الذي علا وجهه؛ حيث كان يفتح فمه ثم يغلقه دون أن يتلفظ بأي كلمة، ليقول غير مصدّق: «كنت تعلمين؟».

قالت ماتي بتكبّر: «بالطبع، كنت أعلم. ها... ها... إنّه أمر مضحك».

ثم تابعت مكشرة: «هل أنت راضٍ؟».

كان الذهول لا يزال بادياً على جاك: «لكن، أنا.. كيف..؟ متى..؟».

أجابت على أسئلته غير المكتملة: «أخبرتني بذلك أمّك هذا الصباح».

ثم أكملت ممعنة في إزعاجه: «هل يحصل معك ذلك دوماً؟».

طرف جاك بعينيه: «ماذا؟».

أجابت وهي تشعر بالرضى: «التأتأة، جاك بوتشامب».

ضاقت نظراته: «كنت تعلمين الحقيقة منذ الصباح...؟».

- من يصحو باكراً يلتقط الكثير من الأخبار.

قال متأملاً بارتياب: «همم.. لم تشر أميّ إلى ذلك عندما تحدثت إليها بعد الظهر».

لا بد أنّه ذهب لرؤية والدته خلال الوقت الذي أمضته ماتي في صالون التجميل.

ابتسمت ماتي له ابتسامة مشرقة وهي تشبك ذراعها بذراعه: «ماذا كانت ستخبرك على أي حال؟ فهي تظنّ بأنني أعرف أن تينا، سالي، كالي، وساندي هن شقيقاتك».

أذعن جاك ببطء: «أنت على حق».

ضاقت نظرته أمام ابتسامتها المتكلفة: «هذا يفسّر تصرفاتك اللطيفة.. غير المتوقّعة، حين عدت من المطار؛ كنت تقومين بلعبتك ماتي كراوفورد».

ذكّرته بخشونة: «إنّها في الأصل لعبتك أنت، جاك بوتشامب».

ارتاحت ماتي لقدرتها على تفسير تصرفاتها على هذا النحو، فمع أنها كانت تقوم بلعبة مع جاك بوتشامب، إلاّ أن مشاعرها تجاهه صادقة تماماً. وهي لا تريده أن يدرك ذلك أبداً.

أحنى جاك رأسه قليلاً: «هذا مؤثر».

التمعت عيناه بالتسلية فيما التفّت ذراعه تلقائياً حول كتفيها: «ما دام الأمر كذلك، لنذهب ونسلّم على الجماعة».

«الجماعة» كما أسماهم جاك، بدوا مسرورين جداً بلقاء ماتي. بدت شقيقاته لطيفات فيما راح الرجال يزعجون جاك بتعليقاتهم لأنه حظي بصديقة رائعة.

شعرت ماتي بالامتنان لدفء هذا اللقاء، فقد كانت بحاجة إلى ما يرفع معنوياتها بعد تلك المواجهة مع شارون كسويك.

وعلى العكس من شارون، بدا شقيقها توم ساحراً ولطيفاً، ولم تبد عليه تلك القسوة المزعجة التي تميز شقيقته الجميلة، فقال ممازحاً في محاولة لمضايقة جاك: «هل تعرف ماتي أنك مدمن على العمل جاك؟».

اشتدت ذراع جاك حول كتفي ماتي: «سوف يختلف الأمر الآن، بعد أن

حظيت بماتي».

ومازحه إيان زوج كالي الاسكتلندي: «... أو أنك خاسر دوماً في لعبة الغولف؟».

وأسرّ لماتي باشمئزاز: «لقد خسر أربعاً وعشرين جولة».

ردّ جاك بنعومة: «لكنّني أبلي حسناً في أنواع أخرى من الرياضة».

- في هذه الحالة، هل لاحظت ماتي بأنك تشخر..؟ أوه!».

صرخ جيم من الألم ونظر نظرة من أصابه ظلم نحو زوجته، ثم راح يتحسّس كاحله. يبدو أن تينا ركلته في قدمه لتسكته.

كانت ماتي تبتسم لمزاح الجميع مع جاك ومحاولاتهم إزعاجه، إلا أنها هذه المرّة لم تتمالك نفسها عن الضحك؛ بالجيم المسكين! لكان من الأفضل له لو أنه احتفظ بصمته.

قالت لها تينا باعتذار: «أنا آسفة حقاً لاقتحامي عليكما أمسيتكما ليلة أمس. لا أدري ما الذي تفكّرينه بي الآن».

وأكملت معترفة: «لقد أبقيت جاك مستيقظاً لساعات بسبب انفعالي».

لا عجب أن التعب كان بادياً عليه بشدّة بعد عودته من المطار.. شدّت ماتي على ذراع المرأة الأخرى مبدية تفهّمها: «لا تفكري بالأمر فكل شيء على ما يرام! ما نفع الأسرة إذا لم يتكاتف أفرادها في الأوقات العصيبة؟».

ثم ابتسمت للأبوين المرتقبين: «أظنّ أن علي أيضاً أن أقدّم لكما التهنئة...؟».

وافقتها تينا وقد احمر خداها خجلاً: «شكراً لك».

ثم اقتربت لتلتصق بجيم مبتسمة له بحب: «لا تبالي بما قاله زوجي المغفّل، فلسانه معتاد على أن يسبق تفكيره».

قال جاك متعاطفاً: «هذه هي مشكلته، ولا أظنه بارعاً في العلاقات الاجتماعية أبداً».

وافقته تينا: «هذا صحيح أيضاً».

عندها قال جيم محتجّاً: «عندما تنتهيان كلاكما من مناقشة

عيوبي...».

فردّ عليه جاك محذّراً: «نحن لم نبدأ بعد».

في تلك اللحظة أعلنت بيتي: «أعتقد أن الوقت قد حان للذهاب».

وكانت هي وإدوارد قد أمضيا الدقائق الأخيرة في التحدث إلى والدي توم.

سألها جاك وهما في طريقهما إلى برج إيفل: «بمَ تحدثتما أيضاً، أنت وأمي، عندما التقيتما هذا الصباح؟ بالإضافة إلى أنها أخبرتك عن غير قصد من هن تينا، كالي، سالي وساندي، يبدو واضحاً أنها أخبرتك أيضاً عن حمل تينا».

رفعت ماتي حاجبيها ببراءة: «إن أمك سهلة المعشر».

أجاب بتكشيرة: «على العكس مني».

تردّدت ماتي: «أنا...».

- سررت لرؤيتك من جديد، جاك.

تشدقت شارون بذلك وهي تحثّ السير لتمشي إلى جانب جاك من الجهة الأخرى. شبكت ذراعها بذراعه دون تردّد، ومالت نحو ماتي لتبتسم لها ابتسامة مراوغة كشفت عن أسنانها البيضاء: «آمل أن تعذرينا ماندي. فأنا وجاك صديقان قديمان».

نظرت إلى جاك من تحت جفنيها المذهلين، وهتفت بأنفاس مقطوعة: «جاك، أليس هذا المكان الأكثر رومنسية على الأرض؟».

اتسعت عيناها البنفسجيتان والتمعتا بالخبث فيما راحت تنظر إلى السماء المرصعة بالنجوم.

لكن ماتي لم تكن واثقة من عمق تلك الصداقة «القديمة» بين جاك وشارون. وهي، بلا ريب، لا تشعر بالارتياح لملامسة شارون لجاك كلما سنحت لها الفرصة، وكأن لديها الحق لتفعل ذلك.

تعمّدت شارون، بطريقة ما، أن تجلس على المقعد المجاور لجاك من الجهة الأخرى، عندما جلس الجميع إلى طاولة كبيرة لتناول العشاء. ولم

يفاجىء ذلك ماتي مطلقاً.

ذلك لم يفاجئها.. لكنه أغضبها. غضبت من جاك، من شارون كسويك، لكنها غضبت من نفسها في الدرجة الأولى.. لأنها من الغباء بحيث وقعت في حب رجل لن تحصل عليه أبداً.

* * *

١٠ ـ هل تقتل النظرات؟

ـ لو كنت مكانك، لما اكترثت كثيراً بشأن أختي الصغيرة.

هذا ما أسرّه توم لماتي بعد وقت قصير، وكان يجلس إلى جانبها من الجهة الأخرى.

استدارت ماتي نحوه بتثاقل لتمنحه ابتسامة مشدودة. لقد فقدت شهيتها منذ أن بدأ تقديم الطبق الأول في العشاء، كما خبا إحساسها بروعة الجو الرومنسي الذي يضفيه أفق باريس المضيء على المكان، وكل ذلك بسبب شارون شقيقة توم. هذا ما خمّنه توم ولم يكن مخطئاً البتّة.

منذ أن جلسوا إلى المائدة، استحوذت المرأة الأخرى على انتباه جاك، بالرغم من محاولاته لإشراك ماتي في الحديث. شعرت ماتي أنها ستصرخ بأعلى صوتها إذا سمعت مرة أخرى عبارة: (أتذكر جاك عندما كنا...).

أي نوع من الصداقة «القديمة» جمع بين جاك وشارون؟ الأمر لا يحتاج إلى كثير من التكهن! فمن الواضح أن لدى جاك أسباباً تجعله يأتي بماتي لتكون برفقته...

مرّة أخرى قال لها توم برقّة: «تعلمين أنه غير مهتم بها».

بدت ابتسامة ماتي مليئة بالمرارة هذه المرّة؛ فعلى ما يبدو، كان جاك مهتماً بشارون منذ وقت ليس ببعيد.

أصر توم: «صدّقيني ماتي. جاك لا يهتم لشارون».

وضع يده برفق فوق يدها، التي راحت تفتت قطعة الخبز في الصحن

www.elromancia.com

بحركة عصبيّة. نظرت ماتي بنفاد صبر إلى كومة الفتات التي كانت فيما مضى رغيف خبز، وراحت تحرك أصابعها لتخلّص ما علق بها من فتات وتضعه فوق الصحن. قالت باشمئزاز: «إذاً. لا أود حقاً أن أرى كيف يبدو عندما يكون مهتماً».

ورمقت جاك بنظرة غاضبة، فقد كان يميل بجسمه باتجاه شارون التي كانت تحتكر انتباهه.

ضحك توم وقال بلطف: «يكفي أن تريه وهو ينظر إليك. فأنا لم يسبق لي أن رأيت جاك سعيداً ومرتاحاً كما بدا ساعة كنتما تتحدثان معاً».

قطبت ماتي وبدت عليها الحيرة لتلك الملاحظة ثم قالت ببطء: «لكني أرى جاك دائماً سعيداً ومرتاحاً».

فقال صهره الجديد: «بالضبط».

لم يكن لدى ماتي فكرة عما يقوله توم. فجاك رجل واثق من نفسه، فخور بما هو عليه وبما يقوم به. كما أن توم لا يعرف أن وجودها هنا في الأساس هو أمر مدبّر من قبله.. ما يثبت أنه ممثل بارع أيضاً. أمضى جاك معظم السهرة وهو يتحدث إلى شارون كسويك، وكأن وجود ماتي لا ضرورة له.

هزّت رأسها قليلاً: «أقدّر لك اهتمامك، توم. لكن لا ضرورة لذلك حقاً».

ظهرت على وجهها ابتسامة كئيبة: «إن العلاقة بيني وبين جاك ليست كما تظن».

فما من علاقة بينهما على الإطلاق! وهي تشك في أنّها سترى جاك ثانية بعد انقضاء هذه العطلة.

هزّ توم كتفيه: «ربما يجدر بك تمتين هذه العلاقة».

اتّسعت عينا ماتي. ليس لأنها امرأة متحفّظة، بل لأنها استغربت أن يشجعها صهر جاك على المضي قدماً في علاقتها به. ذلك لا يعني أنّها لم تفكّر بذلك من قبل، لكن..

أكمل توم كلامه: «لا أريدك أن ترتكبي الغلطة التي ارتكبتها مع ساندي منذ خمسة أعوام».

ثم تابع شارحاً أمام نظرة ماتي المستفسرة: «كنا نتواعد، أنا وساندي، منذ خمس سنوات. أدركت يومها أنني أحبّها، وأنّها المرأة الوحيدة التي أرغب بالزواج بها.. لكنّني لم أخبرها بذلك قط وكأنني لست بحاجة لأن أفعل. ثم جاء رجل آخر وقال لها ذلك الكلام الذي كانت تود سماعه. وقبل أن أدرك أنا ما الذي يحدث، تزوجت ساندي من ذلك الرجل. وهكذا كتب عليّ أن أنتظر أربع سنوات أخرى، إلى أن اكتشفت أنها ارتكبت غلطة بخيارها ذاك. وإلى أن أصبحت حرّة من جديد، لكي أتمكن من إخبارها بحقيقة مشاعري نحوها».

بالكاد يمكن لحال ماتي وجاك أن تكون مشابهة. أم أنها كذلك؟ إنّها بالتأكيد تحب جاك، لكنه لا يبادلها هذا الشعور. ماذا لو أخبرته بشعورها نحوه، هل سيهرب منها إلى غير رجعة؟...

كلام جاك قطع عليها أفكارها المضطربة: «عمّ تتحدثان بهذه الجديّة أنتما الإثنان؟».

ذلك البريق الحاد الذي ظهر في عيني جاك البنيّتين الداكنتين بدا أبعد ما يكون عن النبرة اللطيفة التي ميّزت صوته. فلقد بدا في الواقع، غاضباً. ألأنها كانت تتحدث إلى توم؟ حسناً، تلك فكرة سخيفة، فهو قد أمضى معظم السهرة متحدثاً إلى شارون.

ـ أنا...

ردّ توم بحزم مقاطعاً كلام ماتي: «كنت أقول لماتي.. إنني خسرت شقيقتك طيلة خمس سنوات، لأنني لم أخبرها بما أشعر به نحوها».

ونظر إلى جاك بتحدٍ. شعرت ماتي بأن الارتباك صبغ خديها بلون مختلف؛ ما الذي سيفكّر به جاك الآن؟ سيتساءل كيف توصلت هي وتوم إلى الحديث عن هذا الموضوع الشخصي وهما لم يتحادثا إلاّ لبضع دقائق فقط.

بادله جاك بنظرة ثابتة استمرت لثوانٍ طويلة. وأخيراً تشدق قائلاً:

«حقاً؟».

ردّد توم بصرامة: «نعم، حقاً».

بحق الله! يفترض أن يكون هذا احتفالاً عائلياً... وها إن جاك وتوم ينظران إلى بعضهما وكأن أحدهما يقيس قوّة الآخر استعداداً لقتاله. عندئذٍ تدخلت ماتي لتقول بمرح: «وأنا قلت له كم يبدو رومنسياً أن يعودا فيجتمعا معاً».

ـ النساء يفضلن الكلام الرومنسي جاك.

وأضاف بخشونة: «عليك أن تجرب ذلك يوماً».

غدا تعبير جاك متجهّماً، وردّ بصوت مشدود: «بوجود أسرة كأسرتي أرى أن ذلك صعب إلى حدٍ بعيد».

أدركت ماتي بأن عليها أن تتدخل لتوقف هذه المحادثة.. التحدّي. فهم الآن هنا للاحتفال بخطوبة توم وساندي، قبل كل شيء آخر. إلاّ أن ساندي انضمّت إلى الحديث قبل أن تتمكن من التفوّه بكلمة. فقالت تعاتب شقيقها الأكبر: «بعد الفوضى التي تسببت لنا بها بإرسالك تلك الأزهار بشكل خاطىء كهدية لعيد الفصح، أنت محظوظ لأن نساء هذه الأسرة لا زلن يتحدثن إليك. لحسن الحظ أن لدينا جميعاً روحاً مرحة، فقد بدا الأمر مضحكاً للغاية».

والتفتت نحو ماتي: «ماتي، أرسل جاك الأزهار لنا جميعاً، لكن البطاقات المرفقة بها كانت كلها مغلوطة. تصوّري لو كنا نحن الأربعة صديقاته وليس شقيقاته».

ظهرت الحيرة على وجه جاك، ونظر إلى ماتي نظرة تحدٍ: «أجل تصوّري».

ودّت ماتي لو أنها تستطيع أن تزحف وتختفي تحت الطاولة. أدركت أن توم يتفحّصها عن قرب، لا شك أنّه لاحظ ارتباكها. فنظرت إلى جاك نظرة تحذير.

قال توم ببطء وبصوت خفيض: «لحسن الحظ أنك تفضل العلاقة مع امرأة واحدة، أليس كذلك جاك؟».

جاء رد جاك ملتبساً، فيما لا تزال نظرته معلّقة بنظرة ماتي: «أليس كذلك؟».

ضحكت ساندي ضحكة خافتة: «بدا الأمر مضحكاً للغاية».

قالت ماتي بصوت مخنوق: «بل يبدو بالأحرى.. ممتعاً».

فيما علق جاك بسخرية: «لكل وجهة نظره».

تابعت ساندي متعمّدة إزعاج جاك: «ألم يرسل إليك أيضاً ماتي بطاقة خاطئة مع الأزهار؟ بماذا كنت ستفكّرين لو أنك تلقيت بطاقة عليها اسم تيناء سالي، كالي أو ساندي؟».

ابتسمت ماتي ابتسامة ضعيفة. فمن الأفضل لها ألاّ تقول بأنها لم تتلق من جاك أزهاراً، وإنما ابتزازاً.

هنا تدخل توم: «كفانا إزعاجاً لجاك المسكين».

ثم توجه نحو ماتي ليسألها باهتمام فيما عيناه الزرقاوان تتمعنّان في وجهها: «لم تخبرينا ماتي ما هو عملك؟».

أدركت ماتي أنها إذا أخبرتهم عن عملها الآن كبائعة أزهار، فستنكشف اللعبة، لأن أفراد عائلة بوتشامب أذكياء ولن يفوتهم أن يدركوا حقيقة ما حصل بأسرع مما تتصوّر. فقالت دون تحديد: «أنا منظمة عقود».

وقبل أن يسألها أحدهم سؤالاً آخر، أضافت: «وفي أوقات فراغي أساعد أمي في عملها في نزل الكلاب الذي تملكه».

عندئذٍ قالت ساندي باهتمام: «جاك، على ذكر الكلاب.. كيف حال هاري؟».

فهمت ماتي من اللهجة الدافئة التي بدت في صوت ساندي أن ذلك الكلب ذو مكانة مميزة لدى كل أفراد أسرة بوتشامب. شعرت بالسرور

لذلك، فهي تعتبر أن الأشخاص الذين يحبون الكلاب والأطفال هم أشخاص جيدون يستحقون صداقتها. كما شعرت بأنها باتت تحب أسرة بوتشامب بأكملها بقدر ما أحبت جاك وربما أكثر!

ابتسم جاك: «إسألي ماتي».

ثم قال شارحاً أمام نظرات توم وساندي المتسائلة: «هاري مقيم الآن في النزل لدى والدة ماتي».

ـ هذا يشرح الأمر. وهل هو بخير، ماتي؟ كان جاك قلقاً بشأن تركه في نزل للكلاب، وكاد ألاّ يحضر إلى باريس بسببه.

لم تصدّق ماتي أذنيها. من الواضح أن أسرة بوتشامب أسرة متماسكة إلى أبعد الحدود.. حتى مع أولئك الأفراد الذين تربطهم بهم قرابة بعيدة، وفكّرت في تلك اللحظة بشارون كسويك.

ذكّرت جاك باستياء: «أنت من تحدث إلى أمي بالأمس، جاك».

كانت تفضل أن تتحدث بنفسها إلى أمّها أيضاً. لكن جاك لم يعطها أيّ فرصة لذلك.

أعلن جاك مبتسماً: «اتخذ «هاري» لنفسه صديقة أيضاً. إنها كلبة من نوع اللابرادور اسمها «صوفي»».

علّق توم بصوت خفيض: «يبدو أن هناك الكثير من قصص الحب هنا. أتعلم جاك..».

قطع كلامه مجيء النادلين وهم يحضرون الطبق الرئيسي للعشاء. في الدقائق التالية انشغل الجميع بوصول العشاء، وتوالت التعليقات إعجاباً بطريقة تقديم الطعام ورائحته الشهية. خلال ذلك الوقت كان الجميع قد أصبحوا على معرفة بنوع العمل الذي تقوم به ماتي، ما جعلها تشعر بالارتياح. وبقدر ما وجدت توم سهل المعشر، شعرت ماتي أنه ـ بعكس بقية أفراد الأسرة ـ لم يبد مقتنعاً تماماً بتلك العلاقة التي تجمعها بجاك. وكأنه شعر بأن هناك ما يخفيانه. وكان هذا الأمر صحيحاً بالفعل!

ـ هل أعجبك؟.

سألها جاك بعد أن تناولت اللقمة الأولى من طبق الدجاج الذي طلبته لنفسها.

أكّدت بسرعة: «إنه لذيذ جداً».

أومأ جاك: «ماتي، ماذا يمكنني أن أفعل أكثر من ذلك؟ لقد تصرفت بفظاظة واضحة مع تلك المرأة».

اتسعت عيناها في موقف دفاعي: «أنا لم أقل شيئاً».

غمغم قائلاً: «لا داعي لأن تقولي شيئاً. يمكنني أن أشعر باستيائك فنظراتك تحرقني من خلف كتفي».

هل بدت مشاعرها واضحة إلى هذا الحد؟ ظنّت أنها واضحة لتوم فقط، لكن لجاك أيضاً؟ يجب ألاّ يحصل ذلك أبداً.

أجبرت نفسها على الابتسام. فقد كانت بيتي بوتشامب التي تجلس قبالتها في الجهة الأخرى من الطاولة الكبيرة، تراقبهما، وعلى شفتيها ابتسامة متساهلة. قالت بحلاوة بالغة:

ـ كنت أتساءل فقط، لما أزعجت نفسك بإحضاري إلى هنا. فيما يبدو بوضوح أن رفقة شارون تعجبك.

تجهّم تعبير جاك: «تعجبني؟ وددت لو أدقّ عنقها اللعين».

لم تتمالك ماتي نفسها عن الضحك، فقد بدا جاك كولد صغير يشعر بالسخط. أشرق وجه جاك لضحكها: «هذا أفضل».

ثم انحنى إلى الأمام ليعانقها بنعومة، قائلاً أمام تعبير الذهول الذي بدا عليها: «رؤيتك تضحكين تشبه رؤية الشمس عند طلوعها».

ـ أوه!

ردّت بخجل، وساورها فجأة شعور بتأنيب الضمير لوجود كلّ أفراد الأسرة حولهما. لكن أليس هذا مقصوداً؟ ذكّرت نفسها فوراً. عليها ألاّ تأخذ عناقه هذا على محمل الجدّ؛ فلا شكّ أنّ جاك تعمّد القيام بذلك على مرأى من أفراد أسرته. و.. شارون كسويك.

ألقت ماتي نظرة على المرأة الأخرى من فوق كتف جاك، فإذا بها تتميّز

غضباً لهذا العرض العلنيّ للمشاعر بين جاك وماتي. ربما ودّت لو تقتلهما بنظراتها..

لوت ماتي شفتيها قائلة: «حسناً، يبدو أن الأمر قد نجح».

هزّ جاك رأسه: «ماتي، ليس ذلك هو السبب..».

قاطعته ماتي بنعومة: «ابتسم جاك. فأمّك تنظر إلينا أيضاً».

قطّب متجهّماً: «اللعنة، أنا لا أهتم..».

مرّة أخرى قاطعته ماتي بحزم: «لكنّني أهتم. فقد أحببت والدتك كثيراً».

نظر إليها جاك نظرة ذات معنى. وفجأة أضاءت وجهه ابتسامة مشرقة، ومدّ يده ليضغط على يدها، قائلاً بصوت أجشّ: «ممّا قالته لي منذ قليل، يبدو أنها أحبتك هي أيضاً».

تمنّت ماتي لو أنها تعرف ما قالته له أمّه. إلاّ أنّ إدوارد بوتشامب وقف في تلك اللحظة ليلقي كلمة يهنّىء فيها ابنته وخطيبها، وأنهى كلامه بقوله إنه يتمنّى أن يجتمع كلّ الحاضرين من جديد بعد ثلاثة أشهر للاحتفال بزفافهما.

بعد ثلاثة أشهر...

أين ستكون ماتي بعد ثلاثة أشهر؟ ستكون قد توقفت عن رؤية جاك. هذا مؤكّد! كانت هذه الفكرة كافية لتفقدها شهيّتها، من جديد. إذا ما استمرت الحال على هذا النحو، فسوف تخسر الكثير من وزنها قبل أن تغادر باريس. ولم يكن ذلك حال جاك على الإطلاق، فقد كان يلتهم قطعة اللحم من صحنه بحماسة، فحدّثها قائلاً: «بما أن هذا اليوم كان كارثة حقيقية، هل هناك أمر محدّد تودين القيام به غداً؟».

وفيما هو ينتظر ردّها، قالت ساندي: «نفكّر بأن نذهب جميعاً إلى نوتردام غداً، فيكون ذلك بمثابة نزهة عائلية».

ثم ذكرته بنبرة كئيبة: «أتذكر النزهات العائلية جاك؟».

أومأ جاك برأسه: «السندويشات الممتلئة بالنمل، والبرغش الذي يحوم

على الأيس كريم».

ضحكت ساندي: «كنت واثقة أنك لا زلت تذكر هذا الجزء منها».

جلست ماتي تصغي بافتتان إلى جاك وساندي وهما مستغرقان في سرد ذكرياتهما حول عطلات الأسرة المليئة بالمرح والصخب. أما هي فقد عاشت وحيدة مع والدتها منذ كان عمرها ثلاث سنوات، ولم يكن لديها أخوة لتشارك معهم المرح والصخب في الطفولة. هكذا مرت بقية الأمسية في أحاديث ممتعة ودون تعقيدات. وبطريقة ما تمكن جاك من إبقاء شارون كسويك بعيدة عن تلك الأحاديث. لاحظت ماتي أن الدفء الذي ينضح من أسرة بوتشامب يشيع حولها جواً من الألفة، يشعر به كل من ترحب به الأسرة وتقبله بين أفرادها. شيئاً فشيئاً شعرت ماتي بصعوبة موقفها، فهي لن تكون جزءاً من هذه الحلقة الدافئة إلا لبضعة أيام. بعد عودتها إلى انكلترا يوم الإثنين، على الأرجح أنّها لن ترى جاك ثانية.

بعد بضع ساعات، أعلن جاك بتصميم وهم يغادرون برج إيفل: «أنا وماتي سوف نتمشّى قليلاً».

وكالعادة اندفع جيم يقول ما يفكّر به حقاً: «تتمشيان جاك. همم؟».

هزّ جاك كتفيه واضعاً ذراعه حول كتفيّ ماتي، وابتسم للرجل الآخر: «أيّاً كان الأمر».

ـ أظنّ أنني سأنضم إليكما.

مرة أخرى أقحمت شارون كسويك نفسها لتقف إلى جانب جاك: «أحتاج لتنشق الهواء النقي بعد الجلوس لساعات في ذلك المكان».

وجدت ماتي هذا العذر واهياً، ذلك أن الهواء المنعش كان يملأ المطعم. من جهة أخرى، لم يبد جاك مسروراً لاقتراح المرأة الأخرى. أما ماتي فقد راح قلبها يقفز بفرح لاقتراح جاك، ليعود فيهبط إلى الأعماق لمجرد التفكير بأن شارون ستشاركهما به.

اقترحت إحدى التوأمين: «لمَ لا نتمشى جميعنا؟».

إنها كالي، كما تعتقد ماتي. ولو أنه يصعب تمييز أي التوأمين عن

الأخرى. فكلتاهما ترتديان فستاناً أسود، وقد صفّفتا شعرهما الذي يصل حتى أكتافهما بالطريقة نفسها. لكن أياً تكن من قدمت ذلك الاقتراح، فماتي ممتنّة لها؛ فهي لا يمكنها تخيّل أمر أكثر تعذيباً من التنزه تحت ضوء القمر برفقة جاك وشارون كسويك.

رحّبت بيتي بوتشامب بهذا الاقتراح: «يا لها من فكرة رائعة».

نظرت إلى زوجها نظرة ملؤها الحب: «مرّت سنوات طويلة منذ أن تنزّهنا في باريس تحت ضوء القمر. أليس كذلك إدوارد؟».

أجابها إدوارد بخشونة: «أذكر أنك حملت بجاك بعد آخر نزهة لنا هنا».

ـ حسناً. على الأقل، نعرف أنّ ذلك لن يحصل الآن.

قالت بيتي ذلك، فيما راح بقية أفراد الأسرة يضحكون.

ردّ إدوارد متأمّلاً: «نعم، لكن باستثناء تينا، قد يحصل ذلك مع شخص آخر».

احتجّت إحدى التوأمين: «أنا لدي ولد وبنت. لقد اكتفيت».

وأكّدت التوأم الأخرى: «نحن قررنا أن نكتفي بطفل واحد».

نصحهم جاك وذراعه تشتد حول كتفي ماتي: «حسناً، لا تنظروا إلينا. بقدر ما أحبّ أولاد وبنات شقيقاتي، فأنا أريد الاحتفاظ بماتي لنفسي لبعض الوقت، قبل أن نفكر بالإنجاب».

ضحكت والدة جاك بمرح. وتأبطت ذراع زوجها ثانية: «فلنقم بنزهتنا الآن، ونرى ما سيحدث. هم؟».

شعرت ماتي بالسرور لقرارهم بدء النزهة، فقد احمرت وجنتاها بعد هذه المحادثة. من الواضح أن للأسرة المتماسكة سيئاتها إلى جانب حسناتها.

تقدم جاك المجموعة بعدة خطوات، مصطحباً ماتي معه، فسألته: «قبل أن نفكر بالإنجاب، جاك؟».

عبس جاك وقال: «حسناً، كان عليّ أن أقول شيئاً، أليس كذلك؟».

نظرت إليه ماتي نظرة ذات مغزى. وقالت موبّخة: «لقد كانوا يمزحون

جاك».

من المؤكد أن الارتباك قد أصابها بسبب ذلك الحديث. ولولا ارتباكها هذا لشعرت بالمتعة كالآخرين.

تنهّد جاك بتثاقل: «أعرف ذلك».

وبنفاد صبر، ألقى نظرة على بقية أفراد العائلة الذين يسيرون بسعادة خلفهما: «إنّها.. إنّها مؤامرة، هذا ما هو عليه الأمر».

ـ ماذا تقصد؟

ـ مشكلة تينا وجيم استغرقت طيلة الليلة الماضية لحلّها. وهذه الليلة يبدو أن بقية العائلة لن تسمح لنا بقضاء أي وقت لوحدنا.

هزّ رأسه بنفاد صبر: «إنها مؤامرة عائلية!».

نظرت ماتي إلى تعبيره الساخط. بدا مستاء إلى حد بعيد، وكأنه يرغب بضرب أحدهم. عضت شفتيها فيما هما يبتعدان عن الآخرين، محاولة كبت ضحكتها، لكنها فشلت في ذلك.

التفت إليها جاك بذهول، بعد أن انفجرت بالضحك: «ما الذي يضحكك الآن؟».

هدأت قليلاً: «أنت تضحكني. فأنا واثقة بأن لا أحد من أفراد أسرتك تعمّد أن يكون متطفّلاً. بالإضافة...».

وتلاشى حسّ المرح لديها تماماً: «يبدو أنّك نسيت تماماً أن ما نقوم به هو مجرد تمثيلية».

أخفض جاك بصره لينظر إليها: «نسيت تماماً..!».

ظهرت الكآبة على وجهها: «حسناً. لم تتأثر شارون كسويك ولو قليلاً بعلاقتنا المزعومة. أليس كذلك؟».

ردّ بنعومة: «هل تلمحين إلى أنّها غلطتي؟».

احتجّت ماتي مدافعة عن نفسها: «حسناً بالتأكيد، إنها ليست غلطتي أنا».

أخذ جاك نفساً عميقاً، ثم أطلق تنهيدة متعبة: «معك حق».

أخيراً وافقها بتثاقل: «المسألة هي أنني منذ سنوات، ارتكبت غلطة فتواعدت مع شارون لعدة أسابيع..».

ـ لم تخبرني بذلك من قبل.

ليست بحاجة لسماع ذلك بعد هذه الأمسية. فتصرفات شارون تدل بوضوح على أنها تعتبر جاك جزءاً من ملكيتها.

ـ لا أحد يحب أن يدفع ثمن أخطاءه..

ذكرته ماتي: «أنا قمت بذلك».

إلى أين قادها ذلك؟ إلى باريس التي هي بالتأكيد رائعة! لكن الوقوع في حب رجل بعيد عن متناولها.. ليس أمراً رائعاً بالتأكيد.

قال جاك باشمئزاز: «شارون تبدو.. فائقة الجمال...».

لم تسرّ ماتي بسماع ذلك، فردّت بحدّة: «يمكنني أن أرى ذلك».

فأوضح لها جاك غاضباً: «حسناً، الجمال ليس كل شيء، فهي كالكابوس. لقد خرجنا معاً ثلاث مرات أو أربع.. هذا كل شيء. أقسم بذلك، ماتي».

تابع بإصرار أمام نظراتها المحيّرة: «بعد تلك المواعيد، حاولت تلك المرأة التحكم بحياتي. صدقيني ماتي، لا شيء ينفّر الرجل أكثر من محاولة المرأة السيطرة عليه بعد أسابيع قليلة من معرفتهما ببعضهما. لذلك ابتعدت عنها بأسرع ما أمكنني. لكن ذلك لم يعد سهلاً بعد استئناف ساندي وتوم علاقتهما منذ عدة أشهر».

قدّرت ماتي ذلك، لكن هل يمكنها أن تصدّق أن جاك لا يتأثر بجمال المرأة الأخرى الصارخ؟ ما أهمية تصديقها أم عدمه؟ فبعد يومين لن تبقى كل هذه الأمور من شأنها.. حتى أنّها ليست من شأنها الآن أيضاً. بحق الله! لا يهم ما تشعر به حيال جاك، وعليها أن تتذكر ذلك جيداً.

طمأنته قائلة: «أنا متأكدة أن الأمور ستكون على ما يرام».

أخفض بصره نحوها معتذراً: «آسف، لأنني أضجرتك بالحديث عن مشاكلي».

أجابت ماتي على الفور: «لم تضجرني على الإطلاق».

وكأنها معتادة حقاً على رفقة جاك: «أنا آسفة فقط لأنني لم أتمكن من مساعدتك كثيراً. إن كان هناك من تعزية، فهي أن ذلك العناق جمّدها قليلاً».

أومأ جاك: «العناق؟ ربما علينا أن نكرّره ثانية».

كانا يقفان على الجسر المقابل لبرج إيفل، غافلين تماماً عن بقية أفراد الأسرة الذين يسيرون حولهما. استدار جاك نحوها واضعاً يده على مؤخرة عنقها. نظرت إليه ماتي بعينين زرقاوين واسعتين وشعرت كأن أنفاسها قد علقت في حنجرتها. راح جاك ينظر إليها بشغف ثم أحنى رأسه ببطء ليعانقها، فيما اشتد ضغط ذراعيه حول كتفيها. لم تعد ماتي تشعر بالعالم من حولها، ولو أن برج إيفل نفسه تداعى في تلك اللحظة لما تمكنت من ملاحظته.

ألقى جاك بجبهته الدافئة على مقدمة رأسها وراح ينظر إلى وجهها المتوهج بعينين قاتمتين. شعرت ماتي بالارتجاف وأدركت أنها تريد هذا الرجل بقوة. سألها جاك وقد أساء تفسير سبب ارتجافها: «هل تشعرين بالبرد؟».

وتراجع قليلاً ليخلع عنه سترة السهرة ويضعها حول كتفيها مقترحاً: «هاك! لنعد إلى الفندق. همم؟».

وافقت ماتي دون تردّد: «نعم».

شعرت بالحرارة تسري في جسدها إلى حدٍ فكرت معه أنها لن تشعر بعد اليوم بالبرد على الإطلاق. كما أن إحساسها بدفء ورائحة سترة جاك منحها شعوراً رائعاً. تابعا سيرهما نحو الفندق؛ نظراتهما زائغة ويداهما متشابكتان. بالكاد تمكّنت ماتي من رؤية طريق العودة، من دون أن تبقى لديها فكرة عن بقية أفراد الأسرة. كل ما أرادته هو أن تكون مع جاك وحدهما.

ـ آنسة كراوفورد. آنسة كراوفورد. وصلتك رسالة عبر الهاتف.

بادرتها فتاة جميلة فيما كانت تمر برفقة جاك أمام مكتب الاستقبال. رمشت ماتي بعينيها، فقد بدت الكلمات ضبابية لدماغها المخدّر بحيث

استغرقها بعض الوقت لتفهمها. ذلك أنّ فكرة واحدة كانت تحتل دماغها: البقاء مع جاك وحدهما.

أخيراً قالت: «رسالة لي؟».

ونظرت إلى جاك بارتباك: «لكن لا أحد يعلم أنني.. أمّي!».

انتبهت إلى ذلك فجأة فأصيبت بالذعر. تلاشى الضباب الذي يغلف رأسها، وراحت أفكارها تبحث عن الأسباب المحتملة التي قد تجعل أمّها تتصل بها هاتفياً.

راح جاك يهدئ من روعها وهو يسير بجانبها إلى المكتب: «اهدئي ماتي. ربما تودّ ديانا الاطمئنان إلى أنّك تمضين أوقاتاً جيدة».

ثم ابتسم لموظفة الاستقبال، فيما هو يتناول المغلف الأبيض من يدها: «شكراً لك».

أسرعت ماتي لتأخذ منه الرسالة. فقال مشجعاً: «لنأخذها إلى الغرفة ونفتحها هناك. هم؟».

لا مجال لذلك على الإطلاق. لم تستطع ماتي الانتظار، وبدأت بفتح المغلّف على الفور. اتسعت عيناها وشحب وجهها ما إن رأت محتوى الرسالة.

سأل جاك: «ما الأمر ماتي؟ هل أمّك بخير؟».

انفجرت قائلة: «إنّه هاري».

وامتلأت عيناها بالدموع وهي تنظر إلى جاك: «تقول أمي إنها استدعت الطبيب البيطري لأجله هذا الصباح، فهو.. إنّه مريض جداً».

ثم راحت تبكي بقوة ما إن رأت وجه جاك الشاحب: «أوه، جاك!».

***

١١ ـ كلانا نحب جاك

ـ سوف يكون «هاري» بخير، جاك.

أكّدت له ماتي ذلك فيما هما عائدان بالسيارة من مطار هيثرو، بعد ظهر اليوم التالي. ثم ذكّرته وهي ترى وجهه المتجهّم: «عندما تحدثت إلى أمّي صباحاً، أخبرتني أن «هاري» قد تحسن قليلاً».

وكانا قد اتّصلا بوالدتها من قبل، ما إن وصلا إلى جناحهما في الفندق ليلة أمس. كانت ديانا تتوقع هذا الاتصال، فشرحت لهما بهدوء ووضوح أن «هاري» قد أصيبت بالتهاب في صدره بنتيجة عدوى، ما اضطرها لاستدعاء الطبيب البيطري. لكنه كان في ذلك الوقت نائماً في سلته في مطبخها. طمأن ذلك جاك قليلاً، إلاّ أنه أمضى ليلته وهو يذرع أرض الغرفة في جناحهما في الفندق. بينما راحت ماتي تطلب من خدمة الغرف إبريق القهوة تلو الآخر، فيما هي جالسة معه بانتظار قدوم الصباح، لكي يتمكنا من العودة على متن أوّل طائرة إلى لندن. وقبل أن يغادرا الفندق صباحاً، أجريا اتصالاً هاتفياً آخر بديانا، فطمأنتهما إلى أن حالة «هاري» مستقرة وأنه يسير نحو التحسن.

لكن ماتي أدركت أن جاك لا يزال قلقاً، فقد بدت أساريره متجهمة، كما أنّه بدا قليل الكلام خلال الرحلة إلى لندن.

مدّت ماتي يدها لتمسك بذراعه، وقالت تؤاسيه بلطف: «كيف كان لك أن تعلم. جاك؟».

فهي تعرف أنه يشعر بالذنب لتركه «هاري» والابتعاد عنه. ثم أضافت: «ما كان لأحد منا أن يعلم».

سيكون الأمر رهيباً إذا ما وجّه جاك اللوم إليها أو إلى والدتها بسبب مرض «هاري».

مؤامرة!. قال جاك هذه الكلمة خلال الليلة السابقة. ويبدو أن ماتي باتت مقتنعة بها مثله تماماً، بعد ما حصل لهاري. في كل مرّة تبدأ هي وجاك بالتقارب من بعضهما، تحصل كارثة لتفرقهما من جديد. ولأنهما الآن متباعدان بدا جاك منعزلاً وكارهاً للحديث. لن تتمكن ماتي، مهما قالت أو فعلت، من اختراق ذلك الجدار الذي بناه حول نفسه منذ علم الليلة الماضية بمرض «هاري». أتراه يحمّل والدتها مسؤولية ذلك؟ لكنه لم يقل شيئاً بهذا الخصوص، مع أن ذلك لا يعني أنه لا يشعر به. لقد تعلمت شيئاً عن جاك خلال عطلة هذا الأسبوع؛ بالرغم من سحره وطيبته، فهو يحتفظ بمشاعره العميقة لنفسه.

راحت ماتي تدعو الله أن يكون هاري بخير. فهي تشعر أنه إن لم يكن كذلك فلن يسامحها جاك وأمّها أبداً.

قالت ديانا لجاك وهي تستقبلهما خارج المنزل: «ميتش، الطبيب البيطري هو الآن مع «هاري» في المطبخ»

من الواضح أنّها رأتهما من خلال النافذة فيما هي تنتظر وصولهما.

أومأ جاك بتهذيب: «سأذهب للتحدث إليه».

وخطا بخطوات واسعة دون أن يلتفت نحو ماتي. ومع أنّها تعلم جيداً أنه في غاية القلق على «هاري»، لكنّها شعرت بالانزعاج قليلاً لذهابه بهذه الطريقة. فهي لم تفكّر قبل هذه اللحظة، وبعد قضاء يومين برفقة جاك، كم سيكون صعباً عليها خروجه من حياتها.

شدّت ديانا على ذراع ابنتها معتذرة: «أنا حقاً آسفة لذلك، ماتي. لكن لم يكن بإمكاني إخفاء الأمر عن جاك».

طمأنت ماتي أمّها: «طبعاً أمي. أعلم ذلك».

ثم قطّبت باهتمام: «لم يكن جاك ليسامحنا لو لم نخبره بالأمر. والآن، كيف أصبح هاري؟».

قالت الأمّ باحتراس: «حسناً، بدا بحال أفضل هذا الصباح. أنا متأكدة أن رؤية جاك ستساعده كثيراً».

ماتي أيضاً كانت لتشعر بالتحسّن لو أن جاك زارها وهي مريضة! مع أنّها لم تشعر بالمرض من قبل. لاحظت ذلك باكتئاب. يبدو أنّها من أولئك القلّة من الناس الذين يتمتعون بصحّة جيّدة، فهي نادراً ما تصاب بالزكام أو بأي نوع من الاعتلال.

سألتها أمها بلهفة: «كيف كانت عطلة نهاية الأسبوع؟».

شبكت ذراعها بذراع ماتي: «هل أمضيتما وقتاً ممتعاً؟».

أومأت ماتي بحزن: «نعم. أسرة جاك.. جيدة. كلهم أناس طيبون».

ابتسمت أمّها: «ماذا كنت تتوقعين؟ جاك رجل رائع».

نعم، إنه كذلك؛ إنّه رائع، حنون، ساحر ولطيف. وقد أحبّته ماتي أكثر مما يمكنها أن تتصوّر. لكن ذلك لا يغيّر شيئاً من حقيقة أنّه سيخرج قريباً من حياتها دون أن ينظر إلى الوراء.

ـ أين هي الكلاب؟

بدا لها المنزل غريباً من دون الكلاب الأربعة التي تقفز بحماس حولهما.

ـ أبعدتها كلّها إلى الحظيرة الخلفية عندما أحضرت «هاري» إلى المنزل. في البداية لم أكن متأكدة إذا كان مرض «هاري» معدٍ أم لا، لكن الطبيب أكّد لي أنّه ليس كذلك. مع ذلك أبقيها هناك كي لا تثير الجلبة حوله.

ـ سألقي عليها التحيّة في مابعد. أما الآن. من الأفضل أن ندخل لنرى ما سيقوله الطبيب. مع انني متأكدة بأن جاك سيأخذ «هاري» معه إلى البيت.

ولم تكن مخطئة في ذلك. فقد كان جاك والطبيب يتحدثان بالأمر عندما دخلت ماتي وأمها لتنضما إليها. بدا الطبيب رجلاً طويل القامة، أسود الشعر، يقارب الخمسين من عمره. تركت ماتي الرجلين ليكملا حديثهما، واتجهت نحو سلة «هاري» لتجلس على ركبتيها بالقرب من الكلب الذي

يبدو خائر القوى. راح الكلب ينظر إليها بعينين زرقاوين شاحبتين. أتراها تلمح العتب فيهما لأنّها أخذت سيده بعيداً عنه؟ أم أنّها تتخيّل ذلك؟ مهما يكن الأمر، شعرت ماتي في تلك اللحظة بالذنب، ولا بد أن جاك يشعر بذلك أيضاً. ربما لو لم يتركا «هاري» ويذهبا معاً إلى باريس...

شرح الطبيب الأمر لجاك بلطف: «من المؤكد أن «هاري» قد التقط العدوى منذ بضعة أيام، قبل أن تحضره إلى هنا. السيدة كراوفورد تصرفت بسرعة فائقة، فقد استدعتني على الفور، ما إن شعرت أن «هاري» ليس على ما يرام».

حسناً، على الأقل أنّها ليست ملامة على ذلك. شعرت ماتي بالارتياح لهذا الأمر، مع أن ذلك لن يغيّر شيئاً في حقيقة أن هاري لا يبدو بخير، فهو يختلف بالتأكيد عن ذلك الكلب المرح الذي تركاه منذ يومين.

قال الطبيب بهدوء: «في الواقع أنا أفضل ألاّ يتحرك «هاري» من هنا حتى صباح الغد. سأتصل عند الصباح لأطمئن عليه. فإذا ما استمرت صحته بالتحسن، لا أرى مانعاً من أن تعيده إلى المنزل».

قالت والدة ماتي بلهجة عمليّة: «جاك، يمكنك البقاء هنا الليلة».

حدّقت ماتي بها. يبقى جاك هنا الليلة؟ لكن..

هزّ جاك رأسه: «لا أريد أن أسبب لكما الإزعاج أكثر مما فعلت».

أكّدت له ديانا بسرعة: «لن تزعجنا مطلقاً. يمكنك أن تنام في غرفة ماتي».

اتسعت عينا ماتي، ونظرت إلى أمّها باستغراب.. لكن هذه الأخيرة وجهت إليها نظرة تأنيب كأنها تقول: صحيح أنني وافقت على ذهابك مع جاك إلى باريس لكن هذا منزلنا، ماتي. وأضافت: «يمكن لماتي أن تنام معي، فلدي سرير مزدوج».

راحت ماتي تتلهى بملاطفة «هاري» تاركة شعرها ينساب إلى الأمام ليغطي توهّج خديها، آملة ألاّ يلاحظ أيّ من الرجلين تلك النظرات المتبادلة بينها وبين أمّها. لكنّها فكّرت للحظة أنّ..

سألها جاك بصوت أجش: «هل يناسبك ذلك ماتي؟».

رفعت رأسها بسرعة لتقول بحدّة: «نعم، بالتأكيد».

- في هذه الحالة، سأقبل عرضك ديانا، شكراً.

قالت ديانا للطبيب فيما هو يقفل حقيبته استعداداً للمغادرة: «سأرافقك حتى السيارة».

ثم تركت جاك وماتي وحدهما في المطبخ. جلس جاك القرفصاء إلى جانب سلة هاري ومد يده ليدغدغه بلطف: «أرجو ألاّ تكوني قد انزعجت بسبب اضطرارك إلى الابتعاد عن غرفتك هذه الليلة..».

نظرت إليه ماتي متسائلة إذا ما كان قد انتبه إلى تلك النظرة المؤنبة التي رمقتها بها أمها حين قدمت له اقتراحها هذا. لم تكن تعابيره تنبىء بأي شيء، لكن على أي حال بدا اهتمامه منصباً على هاري.

نفت ماتي فيما هي تقف: «كلا، على الإطلاق».

فذلك سيعني أيضاً أن جاك سيبقى بقربها لمدّة أطول قليلاً. أوما جاك وهو يقف أيضاً: «سأذهب لإحضار حوائجنا من السيارة. شكراً لك ماتي فقد كنت.. متفهّمة جداً، الليلة الماضية واليوم أيضاً. أقدر لك هذا».

لمس ذراعها بأصابعه بلطف وهو في طريقه إلى الخارج. سرّت ماتي لبقائها وحيدة لبعض الوقت، علها تتمكن من إعادة ترتيب أفكارها المشوّشة. مهما كان الذي حصل بينها وبين جاك في باريس - وهي حقاً لا تدرك ما هو بالضبط - فقد انتهى الأمر الآن. ها هما قد عادا إلى العالم الحقيقي. وعالمها الحقيقي لا يضم جاك. كلما فهمت ذلك باكراً كلما كان ذلك أفضل، مع أن ذلك ليس سهلاً بوجود جاك في منزلها هذه الليلة.

جلس الثلاثة معاً لتناول العشاء. اقترحت ديانا أن يلعبوا الورق بعد العشاء بعد أن تم تنظيف الطاولة. أدركت ماتي أن أمها اقترحت ذلك لإلهاء جاك، لكن ذلك يعني أيضاً أنها ستبقى إلى جانبه أيضاً، كما يعني أن حواسها ستبقى متيقظة لكل حركة يقوم بها. وهذا ليس سهلاً بالنسبة إليها.

قال جاك معتذراً بعد أن هزم المرأتين مرتين على التوالي: «في أسرتي نحب المنافسة كثيراً».

أسرة جاك.. لقد أحبت ماتي كل أفراد هذه الأسرة خلال نهاية هذا الأسبوع. أحسّت بثقل في صدرها لتفكيرها بأنها لن ترى أياً منهم بعد اليوم. قالت والدتها بحزن: «لطالما أردت أسرة كبيرة، لكنني لم أحصل عليها».

قال جاك فيما هو يخلط ورق اللعب: «لم يفت الأوان على ذلك بالتأكيد».

تورّدت وجنتا والدة ماتي، وقالت محتجّة: «أوه، أنا الآن في الثالثة والأربعين، أظن أن الوقت بات متأخراً لإنجاب الأطفال».

اعترض جاك قائلاً: «أبداً، على الإطلاق. ما رأيك ماتي؟».

رمشت بعينيها لسؤاله المفاجىء، وكأن هذا الحديث كان متعمّداً لإزعاجها. ما رأيها بفكرة انجاب أمها لمزيد من الأطفال؟ الحق يقال، إنها لم تفكّر بذلك ولو مرّة واحدة في حياتها، ذلك أن أمها لم تكن على علاقة بأي رجل خلال العشرين سنة الماضية.

ضحكت أمّها بينما كان خدّاها لا يزالان متوردان يتوهّج: «إن مجرّد الاقتراح جعلها خرساء، لديها الحق في ذلك».

قالت ماتي ببطء: «كلا.. ليس الأمر كذلك».

فأمها لا زالت امرأة شابة، والعديد من النساء في مثل سنّها لديهن أطفال.

ـ سيكون ذلك رائعاً.

ابتسم جاك ابتسامة عريضة: «أرأيت ديانا؟ ماتي لا تمانع».

قطّبت ماتي وهي تنظر إليهما معاً، وقد بدا الخجل على وجه أمّها.

هزّت ديانا رأسها: «لقد أصبحت كبيرة على القيام ليلاً لإرضاع طفل أو لتغيير حفاظاته».

ـ لم يبد لي الأمر كذلك من...

قاطعته ماتي: «لا بد أنك شعرت بهذا النوع من الإزعاج لدى أسرتك جاك».

أكّد مكشّراً: «بل أكثر».

هزّت ديانا رأسها: «يفاجئني أنك بقيت تعيش مع أسرتك بعد أن أصبحت راشداً».

ثم أضافت ساخرة من نفسها: «حان وقت الذهاب إلى النوم لكبار السن مثلي. ماتي، أرشدي جاك إلى حيث سينام. أراكما في الصباح».

وابتسمت لهما وهي تغادر إلى غرفتها. وقفت ماتي أيضاً، فتلك الإشارة إلى المكان الذي سينام فيه جاك أصابتها بالارتباك. تذكرت تلك الفخامة التي تميّز بها الأثاث في الجناح الذي نزلا فيه في باريس. من الواضح أن جاك معتاد على مثل هذه الرفاهية. قالت بتردّد: «آمل أن تشعر بالارتياح في غرفتي».

على عكس ما تتصوّر ماتي، فغرفتها لا تزال جميلة كما لو أنها فتاة في سن المراهقة، بديكورها الزهري والأبيض، والكتب ذات المواضيع التي تهم الشباب مصفّفة على رفوف المكتبة. لكنها لحسن الحظ تخلصت منذ سنتين من تلك الصور التي كانت تغطي جدرانها والتي تمثل فرق البوب.

أجاب جاك: «من المؤكّد أنني سأكون بخير».

ثم نظر إليها مازحاً: «مع أنني تصوّرت أننا سنمضي هذه الليلة بطريقة أخرى».

هزّت ماتي كتفيها: «لا يهم! هل تريد بعض القهوة قبل الخلود إلى النوم، أم تفضل...؟».

رفض جاك عرضها. ثم وقف ليتمطى وقد بدا عليه التعب: «شكراً، ماتي لا داعي لذلك. على الأقل، «هاري» يبدو أكثر سعادة مما كان عليه ساعة قدومنا».

وكان الكلب قد أمضى معظم الأمسية عند قدميه. لكنه رفع رأسه وراح يلوح بذيله لسماع اسمه.

انحنت ماتي لتداعب الكلب خلف أذنه العريضة قائلة بارتياح: «نعم. أنا مسرورة لذلك».

من المؤكّد أن جاك لم يكن سيساعها وأمّها لو أن مكروهاً أصاب كلبه المدلّل.

هزّ رأسه بحزن وهو ينظر بحنو إلى كلبه المتعافي حديثاً، ثم ضحك بنعومة: «هل تعتقدين أنه، هو أيضاً، جزء من المؤامرة؟».

نظرت ماتي إلى الحيوان نظرة ذات مغزى: «يبدو ذكياً جداً.. لكن أشك أن يكون المكر إحدى صفاته».

وافقها قائلاً: «معك حق.. هذا ليس من طبعه».

ثم تطاول ليلف ذراعه حول خصرها برفق ويقربها منه، وهمس بصوت أجش: «يبدو أنني ما زلت أدين لك بقضاء نهاية أسبوع في باريس».

ثم أضاف قبل أن تتمكن ماتي من الكلام: «في النهاية، أنت قمت بالجزء المتعلق بك من الصفقة».

الجزء المتعلق بها من الصفقة كان إبقاء شارون كسويك بعيدة عنه.. وبالكاد تمكنت ماتي من القيام بذلك. لم تحتمل النظر إلى عينيه الدافئتين، وهي تشعر بجسمه القريب منها: «شعرت أسرتك بخيبة الأمل لأنك تركتهم فجأة...».

صحّح لها جاك: «لأننا تركناها».

وكان جاك قد اتصل بأهله في بداية الأمسية ليطمئنهم على حالة «هاري» الصحية.

ـ لقد أحبّتك أمّي كثيراً.

شعرت ماتي بالسرور لذلك وتورّد خداها. إلاّ أنها أجابته بغموض: «هذا لطف منها».

ـ ماتي..؟

رفعت رأسها لتنظر إليه، فغشت الدموع عينيها ما منعها من الرؤية بوضوح. لكنه لم يمنعها من رؤية جاك وهو يحني رأسه قليلاً ليعانقها.

أحسّت بقوة جسده الرجولي، بالدفء المنبعث من صدره، فسرت حرارة غريبة في كل أنحاء جسدها. إلاّ أنها ابتعدت عنه بقوة: «كلا».

ومن دون أن تتمكن من النظر إليه، قالت بحدّة: «لقد مرّت نهاية الأسبوع جاك. وهذا الأمر ليس جزءاً من اتفاقنا».

ـ لكن...

قالت بخشونة: «كان الأسبوع طويلاً ومرهقاً، جاك. إذا لم تكن أنت تشعر بالتعب، فأنا متعبة جداً».

راح يقول ببطء: «أنا أيضاً متعب، ماتي».

ردّت ماتي باختصار: «حسناً، يمكنك إحضار حقيبتك لأريك المكان الذي ستنام فيه».

ولم تنتظر لرؤية إذا ما كان جاك قد حمل حقيبته فعلاً من زاوية المطبخ، حيث كان قد وضعها من قبل، بل استدارت بسرعة لتسير عبر الردهة إلى غرفة نومها. شعرت بالتأكيد بوقع خطواته وهو يسير خلفها في الردهة المغطاة بالسجاد؛ شعرت كأن نظراته العميقة تحرقها على امتداد عمودها الفقري.

لكنّها لم تجرؤ على الالتفات لمواجهة هذه النظرات، فهي تدرك أنهما يسيران فوق حافة خطيرة ما بين الرغبة والتعقّل. وأن التعقل هو الذي يجب أن يفوز في النهاية لمصلحتهما معاً.

فتحت باب غرفتها لتريه ما بدا بداخلها. فأدركت كم تبدو تلك الغرفة أنثوية إلى جانب ملامح جاك البالغة الرجولية: «آسفة بشأن الديكور».

أكّد لها جاك باضطراب: «لا بأس بذلك».

مع أن الأمر لم يبد كذلك، فقد بدا منظر جاك غريباً عندما جلس على سريرها المغطى بغطاء ذي لون زهري وأبيض، محاطاً بدزينة من الدمى التي تحتفظ بها ماتي منذ طفولتها، والمرتبة بعناية على منضدة بالقرب من السرير.

ـ الحمام في الخارج، الباب الأول إلى اليمين.

تلك المشاعر الفجّة التي شعرا بها منذ قليل جعلت صوتها يبدو خشناً.

نظر إليها جاك مبتسماً: «شكراً».

كانت لا تزال واقفة بالقرب من الباب المفتوح، فقالت بهدوء قبل أن تستدير لتخرج: «حسناً، أراك عند الصباح».

ـ ماتي..؟

ابتلعت ريقها بصعوبة، وتصلّبت كتفاها وهي تستدير ببطء لتواجهه: «ماذا؟».

أمال رأسه جانباً وبدت على وجهه تقطيبة محيّرة: «أنا... إنها ليست المرة الأولى التي أعانقك فيها».

لكنها المرّة الأولى التي تحس فيها بالضياع والارتباك. ردّت بنفاد صبر: «أعلم ذلك».

ـ لا أود أن أدفع الأمور بعيداً الآن، لكن فقط...

توقف قليلاً قبل أن يتابع: «لقد أصبحت.. مختلفة، بطريقة ما، بعد عودتنا إلى إنكلترا».

ـ مختلفة!

بالطبع أصبحت مختلفة. قبل أن يسافرا معاً، كانت تجده جذّاباً وتتمتع برفقته وبتلك المناوشات الكلامية التي تحصل بينهما، لكنها خلال اليومين الماضيين وقعت في حبه. من المؤكّد أنها مختلفة الآن. أنكرت بشدّة: «لا أدري عما تتكلم».

وراحت تتضرع بصمت ألا تظهر مشاعرها الحقيقية بوضوح أمامه.

لكن جاك تابع بإلحاح: «تبدين.. متباعدة، فلم تعودي تلك الفتاة المشرقة التي عرفتها خلال الأسبوع الماضي».

ـ أخبرتك أنني متعبة.

بدا جاك غير مقتنع: «أهذا كل شيء؟».

ثبتت نظرها على الجدار المغطى بورق جدران زهري اللون، في نقطة واقعة فوق كتفه تحديداً: «بالتأكيد».

ثم أضافت بصورة مرتجلة: «أنا متأكدة أننا سنبدو جميعاً بحال أفضل

بعد نوم مريح خلال الليل، تصبح على خير».

قالت جملتها الأخيرة بنعومة، ثم أغلقت الباب وراءها لتغادر الغرفة. تردّدت قليلاً في الردهة، فقد كانت بحاجة إلى قضاء بعض الوقت وحدها، قبل أن تذهب إلى غرفة نوم والدتها. لطالما كانت المرأتان متقاربتان جداً من بعضهما، لكن الحب الذي تشعر به ماتي نحو جاك لا يزال فجاً. ومن المبكر التحدث عنه لأي كان، حتى والدتها.

رفع «هاري» رأسه ما إن دخلت إلى المطبخ، ليعود ويلتفت إلى الجانب الآخر دون اهتمام ما إن وجد أن ماتي هي من دخلت إلى هناك. أدركت ماتي ما الذي يشعر به، فهمست وهي تجلس إلى طاولة المطبخ وتنظر إلى خيبة أمل الحيوان المسكين: «آسفة، يا صغيري. أظن أن كلانا نحب جاك، وجاك فقط. همم؟».

لكن كيف يمكن للحب أن يكون هكذا؟ موجع بقدر ما هو ممتع. ممتع في كل ما قاله جاك أو قام به، في البقاء معه في الغرفة نفسها، من دون ذكر النشوة التي تشعر بها وهي بين ذراعيه. لكن الموجع في الأمر هو معرفتها بأن جاك لا يبادلها تلك المشاعر.

استسلمت أخيراً للدموع؛ تلك الدموع التي حبستها طويلاً، دموع ساخنة جعلت جسدها بأكمله يرتجف. شعرت بالأسى لأنها ستخسر الرجل الذي أحبته بقوة والذي لم تتح لها الفرصة لتبدأ معه حتى. فجاك سوف يخرج غداً من حياتها، من دون أن يدرك أن ماتي أحبته.

كيف يمكنها تحمّل ذلك؟ كيف...؟.

* * *

١٢ ـ ليتني كنت مكانك!

ـ صباح الخير.

حيّت ماتي جاك ببشاشة، ما إن دخل إلى المطبخ عند الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي. سألته وهي تسكب له كوباً من القهوة: «أترغب في تناول إفطار كامل أم ستكتفي بالتوست؟».

هكذا قرّرت أن تتحمّل الأمر. فكرت بذلك عند ساعات الصباح الأولى، فيما كانت لا تزال مستيقظة وهي مستلقية في السرير الكبير إلى جانب أمّها النائمة... يريدها جاك مشرقة ومليئة بالحيوية، وهذا ما ستكون عليه. فسوف يكون لديها وقت كاف فيما بعد للدموع، بعد أن يذهب جاك. هكذا قررت ماتي بتصميم.

أجفل جاك، فهو نفسه لم يكن يبدو بهذا الإشراق، مع الهالات السوداء التي تحيط بعينيه واللون القاتم الذي يغطي خديه. فهو لم يحلق ذقنه بعد، وقد ارتدى قميصاً وبنطلوناً قطنيين قبل أن يدخل إلى المطبخ. كما أنه كان حافي القدمين.

ـ أودّ قهوة فقط، شكراً.

أخذ رشفة كبيرة من المشروب المنشط ونظر حوله في أنحاء المطبخ: «أين «هاري»».

أخبرته ماتي بسعادة: «أخذته أمّي في نزهة».

ثم أضافت برضى: «من الواضح أنه أصبح أفضل حالاً هذا الصباح».

نظر إليها جاك بعينين شبه مغمضتين، فهو لم يكن قد استيقظ تماماً بعد: «تبدين كذلك أنت أيضاً».

ردّت ماتي: «قلت لك إنني سأكون كذلك».

ـ هل تبدين دائماً بهذا المزاج المرح عند الصباح؟.

وافقت ماتي وهي تضع بعض الخبز في المحمصة الكهربائية: «هذا أفضل».

لا شك أن جاك سيتناول بعض التوست إن قامت بتحضيره، فهما لم يأكلا كثيراً بالأمس. حيث لم يتناولا شيئاً قبل مغادرتهما الفندق، وعند العشاء بدا جاك فاقد الشهية فلم يأكل كثيراً من العشاء الذي حضرته هي وأمها. سار جاك قليلاً باتجاه باب المطبخ المفتوح، ونظر إلى الخارج حيث تتلألأ شمس الصباح المنعشة: «يبدو كأن الطقس اليوم منسجم مع مزاجك المرح».

ولم يكن الأمر مماثلاً بالنسبة إليه!

ضحكت ماتي ضحكة خافتة: «وأنت، هل تبدو دائماً متذمّراً عند الصباح؟».

كانت تلك المرّة الأولى التي تراه فيها ماتي وقد استيقظ مباشرة من النوم؛ فصباح يوم السبت كان قد ذهب إلى المطار عندما استيقظت، وبالأمس كانا قد أمضيا الليلة ساهرين معاً. نظر إليها جاك، وهو يسير عائداً إلى المطبخ مردّداً بخشونة ما قالته منذ لحظات: «هذا أفضل».

هزّت رأسها بكآبة وهي تضع التوست والزبدة على الطاولة: «لحسن الحظ أننا لا نعيش معاً بصورة دائمة، أليس كذلك؟».

ـ ماتي...

قاطعته بحدّة: «إذا أردت المزيد من القهوة، يمكنك أن تسكب بنفسك».

وأشارت إلى سخّان القهوة الموضوع في إحدى نواحي المطبخ: «سأذهب لأرى إذا كانت أمّي تحتاج إلى مساعدة».

وأسرعت بالخروج من المطبخ قبل أن يتسنى لجاك الوقت للردّ.

حافظي على تماسكك. قالت ذلك لنفسها بصرامة فيما هي تسير مسرعة لتصل إلى النزل المخصّص للكلاب. مع قليل من الحظ سوف يغادر جاك خلال ساعة أو ما يقاربها، وعندئذٍ يمكنها أن تستسلم للتعاسة التي تشعر بها. لكن حتى ذلك الوقت لن يرى جاك سوى ماتي كراوفورد المرحة والمشرقة التي يفضّل رؤيتها.

رمقتها أمها بنظرة متفحّصة عندما انضمت إليها في نزل الكلاب، فهي لم تنخدع بسهولة بمظهرها: «تأخرت في الخلود إلى النوم البارحة».

وأكملت قبل أن تتمكن ماتي من الرد: «سمعت جاك يأوي إلى الفراش قبلك بساعات».

ها هي قد قطعت على ماتي الطريق، إذا كانت تفكّر بالتحجّج بأنها تحدثت طويلاً إلى جاك.

ـ لم أكن أشعر بالنعاس، أعتقد أن السبب هو نهاية الأسبوع المليئة بالأحداث.

ـ اتصل ميتشل منذ قليل...

أوضحت شارحة أمام نظرة ماتي الجوفاء: «ميتشل فوغان، الطبيب البيطري. اتصل منذ دقائق وهو في طريقه إلى العيادة، وقال إن بإمكان «هاري» أن يعود مع جاك إلى منزله طالما أنه تحسن وعاد إلى حالته الطبيعية».

بدا الارتياح على والدتها، فيما استدارت كلتاهما لتراقبا «هاري» وهو يلعب في الخارج، وكانت «صوفي» تستكين راقدة إلى جانبه. أضافت ديانا بسعادة: «إنّهما صديقان رائعان».

وافقتها ماتي: «هذا ما يبدو».

يبدو أن «هاري» يملك سحراً خاصاً كصاحبه، ما جعل «صوفي» تتعلق به. نظرت إليها أمها نظرة جانبية أخرى، وسألتها بلا مبالاة: «هل رأيت جاك هذا الصباح؟».

بدت ديانا مبالغة في لا مبالاتها. أتراها خمّنت ما تشعر به ماتي نحو جاك؟ وإذا كانت أمها قد خمّنت ذلك بسهولة، هل خمّنه جاك أيضاً؟ يا للأمر المخجل!

أجابت بلا مبالاة أيضاً: «إنه يتناول فطوره».

وراحت تحمل الصحون النظيفة، الجاهزة لإطعام الكلاب: «سأقوم أنا بإطعامها، هل أفعل؟».

إلاّ أنّها لم تنتظر الجواب من أمّها، بل أسرعت تخرج من الغرفة لتذهب إلى غرفة تقع خلف المكتب حيث يتم تحضير الطعام للحيوانات. قالت لنفسها: ساعة أخرى تقريباً، وينتهي الأمر. بعد ذلك، فرصتها الوحيدة لتلمح جاك، ستكون عندما تذهب إلى مكاتب الشركة للعناية بالنباتات أو لتزيين قاعة الاستقبال بالأزهار. لكنّها لم تلمحه ولو مرّة قبل الآن خلال زياراتها إلى هناك، ما يعني أن الأمر بعيد الاحتمال.

أخذت وقتها في تحضير الطعام وتقديمه للحيوانات في النزل. وسادت الضوضاء والنباح بين الكلاب لمجرد إحساسها باقتراب موعد فطورها.

ـ كيف يمكنك احتمال هذه الفوضى، بحق السماء؟.

اهتزت يدا ماتي، وكادت توقع صحن الطعام الذي تحمله أرضاً، لدى سماعها صوت جاك غير المتوقّع. استعادت رباطة جأشها قبل أن تستدير وتبتسم له. وقالت بصوت مرتفع: «لقد تعوّدت عليها».

علقت أنفاسها في حنجرتها لرؤيته. يبدو أنه استحمّ وحلق ذقنه واستبدل القميص والبنطلون القطنيين اللذين ارتداهما صباحاً، بقميص مكوي وبنطلون قطني أنيق. كما ارتدى حذاءه أيضاً.

ـ إذا كنت تبحث عن «هاري»، إنّه في الفناء برفقة «صوفي».

ثم أكملت شارحة قبل أن تستدير مبتعدة: «اتصل الطبيب منذ قليل، وقال إن بإمكانك إعادته إلى المنزل».

ـ ماتي..

ألم يخرج بعد؟.

استدارت ماتي ببطء قائلة: «سأنهي عملي هذا قريباً».

نظر إليها جاك نظرة ذات مغزى، وقال يحثّها: «تعالي لتناول كوب من القهوة معي قبل أن أذهب».

وعمَّ يمكنهما أن يتحدّثا؟ عن نهاية الأسبوع الرائعة التي أمضياها معاً؟ أم عن المشاعر التي انتابتهما مساء أمس؟ أو ربما، كيف بإمكانهما أن يقوما بذلك مرّة أخرى؟ لا تظن ماتي أن هذا سيحصل. في الواقع، لن يتمكنا من رؤية بعضهما من جديد وماتي تكره لحظات الوداع، فهذه المواقف تسبب لها الألم.

هزّت رأسها قائلة: «ما إن أنهي عملي هنا سأذهب إلى متجري».

قطّب جاك: «لكن اليوم عطلة، والمصارف مقفلة».

أومأت ماتي: «سأتحقق من البريد و.. هناك أشياء يمكنني القيام بها قبل أن أفتح المتجر صباح غد. تعلم كيف تكون الأمور عندما يكون لديك عملك الخاص».

قالت ذلك وهي تعلم تماماً أن هناك فرق كبير بين عملها الخاص وعمل الملياردير صاحب مصانع «ج ـ ب».

ردّ جاك محتجّاً: «أنا أيضاً كنت في إجازة، ماتي».

قالت مبرّرة: «أنت لست وحدك المسؤول عن كل شيء».

وأكملت تشجّعه: «اذهب لرؤية «هاري»، فهو حقاً يبدو بحال أفضل بكثير».

ذكّرها بتصميم قبل أن يسير مبتعداً: «القهوة، بعد عشر دقائق».

نعم، سيدي. كلا، سيدي. أوامرك، سيدي. استشاطت ماتي غضباً بعد انسحابه.

سألتها أمها باهتمام، بعد أن عادت وقد قامت لتوها بتنظيف المكان: «هل كان هذا صوت جاك؟».

أومأت ماتي، بعد أن استدارت كي لا تنظر في الاتجاه الذي خرج منه جاك لتوّه، وأكّدت تقول: «سوف يغادر عمّا قريب».

رمقتها أمّها بنظرة ملؤها التوبيخ: «لا تبتئسي ماتي».

وضغطت على ذراعها تشجّعها: «أنا متأكدة بأنك سوف ترينه قريباً».

أخذت ماتي نفساً قصيراً، قبل أن تهزّ رأسها قائلة: «ماما، لا أريد أن أخيّب أملك. لكن، بعد نهاية الأسبوع الفظيعة التي أمضيتها برفقته، لا أهتم حقاً إذا لم تقع عيني على جاك بوتشامب مرّة أخرى على الإطلاق».

لا تريد أن ترى جاك ثانية، لا قريباً ولا فيما بعد. فرؤيته ستسبب لها ألماً لا يحتمل. لكن، لمَ تبدو أمّها مشدوهة هكذا؟ من المؤكّد أنّها...

ـ هذا أمر مؤسف ماتي.

قال جاك ذلك من خلفها بصوت جليدي: «... فأمّي تنوي إرسال دعوة لك لحضور زفاف ساندي وتوم».

برزت على وجه ماتي تكشيرة ألم، وبدت غير قادرة على النظر في وجه أمّها. مع أنّها شعرت بتعاطفها معها. كيف كان لها أن تعلم أن جاك سيعود إلى الغرفة بسرعة ليسمع ملاحظتها الأخيرة القاسية؟ مع أن «هاري» و «صوفي» راحا يقفزان بين قدميها لكنها لم تعلم أن جاك يسير وراءهما، وأنه أصبح قريباً بما يكفي ليسمع جملتها الأخيرة. جملتها الأخيرة اللعينة!

استدارت ببطء، وازداد شحوب وجهها لرؤية خيبة الأمل على وجه جاك. حسناً، ماذا يتوقّع منها؟ أن تكون مسلوبة العقل تجاهه كما تفعل شارون كسويك؟ لا سبيل على الإطلاق لأن تظهر له أنّها مجنونة به، أو بأي رجل آخر. في الواقع، جاك أخبرها بنفسه أن التصاق شارون كسويك به وملاحقتها له جعلاه يبتعد عنها. هزّت كتفيها لتقول بهدوء: «أنا متأكّدة بأنّني سأجد عذراً ملائماً كي لا أحضر هذا الزفاف. لا شك بأن أمّك تودّ إرسال دعوة لي لأنّها تظنّ أننا صديقين».

لا بد أن جاك لا يرغب برؤيتها هناك. توتّر فم جاك وعلت تعابيره تقطيبة، ثم قال بصوت خشن: «يبدو بوضوح أننا لسنا كذلك».

قالت ماتي بنفاد صبر: «بالطبع نحن كذلك، جاك».

أحسّت بالغضب من نفسها ومنه؛ من نفسها لأنها تفوهت بتلك الجملة

الغبيّة قائلة إنّها لا ترغب برؤيته ثانية، ومنه لأنّه كان قريباً ليسمعها. علمت أن تفكيرها هذا غير منطقي على الإطلاق. لكن المنطق يغدو بعيداً عنها تماماً عندما يتعلق الأمر بجاك. أضافت بعقلانية: «لكن ليس ذلك النوع من الصداقة الذي تظنّه أمّك».

نظر جاك إليها بصمت للحظات طويلة، إلاّ أنّ نظرته الغامضة لم تفصح عمّا يفكّر به البتّة. ربما من الأفضل لها ألاّ تعلم ما يفكّر به، هكذا واست ماتي نفسها. فقد يكون كلام جاك لاذعاً إذا ما قرّر أن يردّ عليها. وبعد جملتها اللعينة التي تفوهت بها منذ دقائق قليلة، لا بد أنه يفكّر أنها تستحق ذلك.

أومأ لها بانحناءة صغيرة من رأسه قبل أن يلتفت نحو أمّها قائلاً: «أظنّ أن عليّ الذهاب الآن ديانا».

وغدا صوته أكثر خشونة بشكل واضح: «لقد استغليت حسن ضيافتك بما فيه الكفاية».

سارعت أمّها تطمئنه: «على الإطلاق».

رمقت ماتي بنظرة تأنيب وهي تمر بقربها لتنضم إلى جاك عند الباب. ثم قالت تشجعه بلطف: «تعال لتناول كوب من القهوة قبل أن تذهب».

لكن جاك رفض دعوتها: «شكراً لك ديانا، لكنّني أظن حقاً أن عليّ الرحيل الآن».

يبدو أن دعوته السابقة لها ـ بل أمره ـ لتناول كوب من القهوة قد تبخّرت ـ ليس لأنها ترغب بتناول القهوة معه، لكن ما إن قرّر أن يرحل، حتى شعرت ماتي بأنها لا تريده أن يذهب أبداً.

التفت جاك نحوها قليلاً، وقال بصعوبة: «وداعاً ماتي».

سحبت ماتي نفساً عميقاً محكماً قبل أن ترد عليه، مصمّمة ألا تبدو مدمّرة لفكرة رحيله، واختفائه من حياتها إلى الأبد. فقالت بمرح هو أبعد ما يكون عن حقيقة مشاعرها: «إلى اللقاء جاك».

وأضافت باندفاع: «انتبه لنفسك».

متمنيّة لو أن بإمكانها أن تقول شيئاً يمنعه من الذهاب. لكنّها أدركت في سرها أنها قالت ما يكفي.. بل أكثر بكثير. أومأ جاك بسرعة: «وأنت أيضاً».

قالت مقطوعة الأنفاس، من دون أن تجرؤ على النظر إليه: «نعم».

وابتعدت لتبدأ بملء طاسات المياه بنشاط بينما امتلأت عيناها بالدموع. شعرت كأنها تكاد تقع أرضاً ولم تعد تعرف حقيقة مشاعرها إزاء رحيل جاك.

ـ ماتي! ماتي ألن تأتي لتوديع جاك؟

حثّتها أمّها بلهجة معنّفة. إنّها تستحقّ ذلك، هذا ما تعرفه ماتي جيداً. فتصرفها يبدو وقحاً بنظر أمّها خاصّة بعد أن أمضت نهاية الأسبوع برفقة جاك في باريس. لكن لا مجال لذلك أبداً، فلا يمكنها الوقوف إلى جانب أمّها لتلوّح لجاك هو يغادر من دون أن تجعل من نفسها أضحوكة، وهذا ما تريد تجنّبه. حبست دموعها. لن تتصرف كالبلهاء وتبدأ بالبكاء الآن، ليس قبل أن يذهب جاك. قالت ساخرة: «أنا واثقة أن لا ضرورة لنقف نحن الإثنتان معاً لكي نلوّح لجاك».

بدت ديانا مذهولة تماماً لهذا التصريح الوقح. شعرت ماتي بخيبة الأمل الحادّة التي أصابت أمّها، لكنّها لو تراجعت الآن فستغدو خيبة أملها أكبر بكثير؛ فهي لن تسرّ أبداً لرؤيتها تتوسل إلى جاك كي لا يرحل.

قبل أن تتمكن أمها من الكلام كان جاك قد سبقها: «لا بأس ديانا، فماتي قد أوضحت لي أنّها مشغولة جداً اليوم».

لكن نبرته كانت تقول: مشغولة جداً إلى درجة تمنعها من الوقوف للحظات لتوديعي.

دفع ذلك الموقف المحرج ماتي لتقول شيئاً: «سأذهب غداً مساءً كالعادة لأتفقد النباتات».

أحنى جاك رأسه باستهزاء قائلاً: «أنا واثق أن الشتول ستقدر لك ذلك».

ثم نادى كلبه واستدار مبتعداً: «هيّا بنا هاري».

تباطأت أمها قليلاً لتهمس لها بحنق: «بحق الله، ماذا أصابك ماتي؟».

هزّت ماتي رأسها من دون أن تجيب، وراحت تنظر إلى جاك وهو يسير إلى الخارج بخطوات واسعة مدروسة. ببساطة ليس هناك ما يمكنها قوله، أو القيام به لتمنع جاك من الخروج من حياتها إلى الأبد.

قالت لها ديانا بسرعة قبل أن تهرع لتنضمّ إلى جاك: «علينا أن نتحدث، أنا وأنت، عندما أعود».

كل ما في هذا العالم من أحاديث لا يمكنها أن تغيّر حقيقة أنّ ماتي وقعت في حب رجل لا يبادلها الحب. وهو لن يحبّها أبداً... لا شيء سيبدّل هذه الحقيقة.. ما إن سمعت صوت انغلاق باب سيارة جاك، وبعده صوت المحرك يدور، حتى علمت ماتي أن ليس بإمكانها أن تبقى في مكانها أكثر من ذلك. تحرّكت قدماها بصورة آليّة وراحت تعدو باتجاه مدخل المنزل، فقد أرادت أن تلقي ولو نظرة أخيرة على جاك وهو يقود سيارته مبتعداً.. وصلت إلى الباحة الخارجية في الوقت الذي كان جاك يزيد من سرعة السيارة ليصل إلى الطريق العام. رفعت يدها تلوّح له بوهن، مع أنّها تعلم أنّه لن يراها على الأرجح. شعرت بالدموع تحرق عينيها بوخزات لاذعة.

تحركت أمّها لتقترب منها، وشبكت ذراعها بذراع ماتي. ثم قالت برضى واضح: «أنا مسرورة لأنّك غيّرت رأيك».

لم تتمكن ماتي من الردّ. فقد كانت تشعر بالاختناق وتخشى أن تتساقط دموعها، فهي لم تعد تستطيع كبتها لوقت أطول...

ـ ماما، هناك كلبان في سيارة جاك.

فقد لاحظت فجأة وجود كلبين يطلان برأسيهما من المقعد الخلفي، وقد بدا لسانيهما الورديّا اللون وهما يلعقان الزجاج الخلفي للسيارة.

أومأت أمّها وهي تبتسم بحنان: «جاك أخذ صوفي معه».

هزّت ماتي رأسها مذهولة: «لكن...».

راحت أمّها تشرح لها بسرور بالغ: «أخبرني أنّه يريد أن يأخذها حين

أتى لرؤيتي ذلك الصباح».

رمشت ماتي عينيها: «حقاً؟».

هل كان هذا موضوع الحديث الذي دار بين أمّها وبين جاك ذلك الصباح؟ أكّدت لها أمّها: «من الواضح أنك أخبرته بقصة «صوفي» الحزينة. وبعد أن فكّر بالأمر، لم يحتمل فكرة التخلّي عنها بهذا الشكل. لهذا السبب تركت «صوفي» و «هاري» يمضيان معظم الوقت معاً خلال الأيام القليلة الماضية، لنرى إن كان سينسجمان معاً».

حدّقت ماتي بالسيارة التي كانت تبتعد بسرعة. جاك اصطحب «صوفي» معه إلى منزله.. لكم تتمنى ماتي لو أنها كانت مكانها!

* * *

١٣ ـ هل قال ذلك حقاً؟

ما إن اختفت السيارة الرياضية الحمراء من أمام أنظارهما تماماً، حتى حثّتها أمّها: «هيا بنا ماتي. لنتناول القهوة ونتحدث قليلاً».

كشّرت ماتي ممانعة: «إذا كان الحديث متعلقاً بجاك...».

قاطعتها أمّها بحزم: «بالطبع سيكون متعلقاً بجاك».

شعرت ماتي أنها بحاجة لأن تبقى وحدها لبعض الوقت، فأجابت بتصميم: «إذاً، أفضل تأجيله لبعض الوقت، ماما. ربما نتحدث بعد الظهر».

وما إن رأت أن أمّها توشك على الاحتجاج، قالت تحثّها: «لا زال لديك بعض الأعمال لتنهيها هنا. وأنا.. أنا أود الذهاب إلى المتجر للتحقق من أنّ كل شيء على ما يرام».

تمسّكت بالعذر نفسه الذي قدمته لجاك منذ دقائق قليلة. على أيّ حال لم يبد أن أمّها اقتنعت. بل كادت، في الواقع، تبدأ بمناقشتها حول هذه النقطة بالتحديد. لكن نظرة واحدة إلى وجه ماتي جعلتها تغيّر رأيها فقالت موافقة: «حسناً، بعد ظهر هذا اليوم وليس أبعد من ذلك».

ثم تابعت كلامها محذّرة: «بالأمس بعد أن عدتما، لم أكن واثقة تماماً... لم أستطع القول...».

وهزت رأسها بإحباط: «أنت تعذبين نفسك من دون سبب، ماتي».

أليس وقوعها في حب جاك سبباً كافياً؟ لكن قد تكون أمّها على حق. ما

كان عليها أن تقع في حبه من الأساس. كشّرت ثانية: «سوف أتخطى ذلك».

رفعت ديانا حاجبيها الأشقرين وغمغمت: «أشك في ذلك».

وماتي كذلك.. لكن سماعها هذا الكلام من أمّها لا يبدو أمراً مشجّعاً. أكّدت لأمّها: «سأعود وقت الغداء».

واستدارت لتدخل إلى المنزل لإحضار حقيبتها ومفاتيح سيارتها.

حذّرتها أمّها: «سأكون بانتظارك. أوه.. ماتي..».

قطبت ماتي قليلاً وهي تستدير إلى الوراء: «نعم؟».

بدا الارتباك على أمّها الآن. تجنّبت أن تلتقي نظرتها بنظرات ماتي، وراحت الكلمات تتدفق مبعثرة على لسانها: «أ.. أنا.. لن أكون هنا على العشاء مساءً. أنا.. سأتناول العشاء في الخارج».

ألقت ماتي نظرة متفحّصة على أمّها.. أمّها الجميلة، كما فكّرت ببطء. بدت عينا ديانا تلتمعان بإشراق وخداها يتوهجان بلون جذّاب فيما كانت لا تزال تبدو مرتبكة.

آه.. مع من يا ترى؟

قالت ماتي بهدوء: «ميتشل ڤوغهام يبدو رجلاً وسيماً».

أدركت أنها مصيبة في ظنّها عندما تورّد خدا ديانا حتى الاحمرار.

أذعنت أمها على نحو مريب: «أ.. نعم. إنّه أرمل. توفيت زوجته منذ سنتين. كلانا يحب الحيوانات، وقد دعاني إلى العشاء عدّة مرات من قبل، لكن..».

تابعت ماتي كلامها: «كنت دائماً ترفضين. لا بأس بذلك ماما».

وراحت تضحك فيما بدت ديانا أقل ارتياحاً منها: «كما قلت لك، يبدو رجلاً وسيماً، وأنت لا زلت جميلة بالتأكيد».

ـ لا تكوني سخيفة.

قالت ديانا ذلك، بالرغم من أن عينيها عكستا سرورها الواضح لموقف ماتي الإيجابي. ثم أكّدت: «أتعلمين ماتي؟ كنت خائفة من ردّ فعلك».

ـ لكن لماذا؟

وتحركت نحو أمّها لتطبع قبلة على خدّها: «لقد حان الوقت لكي يلاحظ أحدهم كم أنت جميلة».

هزّت أمّها رأسها: «أظن رأيك هذا متحيّزاً ماتي».

عانقتها ماتي وقالت مشجعة: «حسناً، إن لم أكن متحيّزة بالنسبة إليك، فمن سيكون غيري؟ لا أستطيع الانتظار لمعرفة كل التفاصيل».

قالت أمّها باحتجاج: «ليس هناك تفاصيل».

استدارت ماتي بسرعة وقالت تضايقها: «ليس بعد!».

نهرتها ديانا معترضة: «أوه! كفى كلاماً فارغاً ماتي».

لكن الابتسامة التي علت وجهها كانت تنبىء بعكس نبرتها تلك.

أبقت ماتي نفسها مشغولة طيلة ذلك الصباح في المتجر. راحت تتفحّص بريدها والطلبات التي عليها أن تلبيها في الغد، كما قامت بترتيب بعض الأغراض. لكنّ ذلك لم يمنعها من التفكير بجاك. فقد كانت تفتقده، مع أنّها نجحت في لجم دموعها. لقد كان...

قطّبت جبينها حين بدأ الهاتف يرن؛ لم تكن ستحضر إلى هنا اليوم، ما يعني أن لا أحد سيتصل بها ليطلب أزهاراً أو شتولاً. أوه، حسناً! إنها هنا الآن، والعمل هو العمل. رفعت سمّاعة الهاتف: «متجر «الأزهار النضرة» كيف يمكنني مساعدتك؟».

أجابها جاك ممازحاً: «أعترف أنهما صفتان تناسبانك تماماً. كما أظنّ أن بامكانك مساعدتي بطريقة ما، ماتي».

تجمّدت ماتي واشتدت قبضتها على السمّاعة. جاك. إنّه جاك! إنّه آخر شخص توقعت أن تسمع صوته.

قال باهتمام بعد أن مرّت بضع لحظات دون أن يسمع ردّها: «ماتي؟».

بدت غير قادرة على الحركة أو الكلام. شحب وجهها وهي تحاول أن تفهم سبب هذه المكالمة. لقد أخبرت جاك أنها ذاهبة إلى المتجر، لكنّها بالتأكيد لم تتوقع أن يتصل بها إلى هناك.

ـ ماتي. هل تسمعينني؟ ماتي؟.

وراح يغمغم بنفاد صبر: «اللعنة، لقد انقطع الخط».

اندفعت ماتي تقول قبل أن يقطع الاتصال: «كلا، لم ينقطع الخط. أنا فقط.. أنا لم أتوقّع أن تتصل بي. هذا كلّ ما في الأمر».

لقد أمضت طيلة الصباح وهي تتألم بسبب الرجل الذي أحبّته، فهي لم تتوقّع أن تراه أو تسمع صوته ثانية. وبعد ساعات قليلة، ها هو يتّصل بها، ما جعلها تشعر بالصدمة، هذا كلّ ما في الأمر.

قال معترفاً: «حسناً، ربما ما كنت لأتّصل بك اليوم لو.. حسناً، هناك أمر طارىء ماتي».

أصيبت ماتي بالذعر على الفور: «هل أصاب «صوفي» مكروه؟».

ثم أكملت بسخط: «لمَ لم تخبرني أنك ستأخذها؟ أمضينا ثلاثة أيام معاً، ولم تقل كلمة واحدة عن هذا الأمر. أنا..».

أجابها جاك بهدوء: «كلا، «صوفي» بخير. إنّها مسرورة جداً برفقة «هاري». أنا لم أخبرك أنني سآخذها خلال نهاية الأسبوع لأنّه، بصراحة، كان لدينا الكثير من الأمور الأخرى لنتكلّم عنها».

كشارون كسويك مثلاً، أو شقيقاته الأربع اللواتي كانت تظنّ في البداية أنهن صديقاته، أو..

قال جاك قاطعاً عليها أفكارها الغاضبة: «ماتي، عاد أهلي إلى انكلترا هذا الصباح. وقد اتصلت بي أمي منذ نصف ساعة، لتدعونا، نحن الإثنين إلى العشاء هذه الليلة».

أجابت ماتي غير مصدّقة: «هل اتصلت بي لهذا السبب؟».

ـ نعم، فكما ترين..

قاطعته ماتي بتصميم: «كلا، جاك. الجواب هو بالتأكيد: كلا».

ـ لمَ لا؟

ـ حسناً، السبب الأول هو أنني قدمت لتوي إلى انكلترا بعد قضاء عطلة الأسبوع برفقتك...

ـ أمّك ستخرج هذا المساء، فلا تحاولي التذرّع بأنك تريدين قضاء بعض

الوقت معها.

قالت ماتي متلهّفة: «كيف علمت بذلك؟».

شرح لها جاك بهدوء: «قبل أن أتصل بك إلى المتجر، اتصلت بالمنزل، فأخبرتني أمك خلال الحديث أنها ستكون في الخارج هذا المساء».

ثم أضاف: «بدا واضحاً بالأمس أن الطبيب البيطري معجب، بل أكثر من معجب، بديانا».

لم تلاحظ ماتي ذلك مطلقاً. بالطبع! فقد كان جاك هو كل ما يشغل تفكيرها في ذلك الوقت، فلم يكن من الممكن أن تلاحظ أي شيء آخر..

سلّمت بذلك قائلة: «حسناً. مع أن أمّي ستخرج برفقة الطبيب هذا المساء، لكنّني لا زلت أستغرب كيف يقترح رجل مثلك أن نذهب نحن الإثنان معاً لتناول العشاء عند والديك هذا المساء».

لو أن الظروف مختلفة، كانت لتقفز من الفرح لأن الفرصة سنحت لها لرؤية جاك مرّة أخرى، مهما كان السبب. إلاّ أنّها أحبّت والديه بصدق، فقد كانت والدته لطيفة جداً معها خلال عطلة نهاية الأسبوع. ويبدو أن تلك التمثيلية التي قاما بها، هي وجاك، قد طالت إلى حدٍ بعيد، أكثر مما توقّعت ماتي.

أجابها جاك: «اسمعي، أقدّر لك إفصاحك عن مشاعرك نحوي هذا الصباح، لكنني اعتقدت أنك أحببت والديّ..».

قاطعته بسرعة: «لقد أحببتهما فعلاً. وهذا بالتحديد هو السبب الذي يجعلني أرفض هذه الدعوة إلى العشاء. جاك، عطلة نهاية الأسبوع كانت أمراً آخر، لكنّها انتهت الآن. أنت مدين لأهلك بإطلاعهم على الحقيقة بشأن... بشأن علاقتنا».

ثم أكملت بتردّد: «من جهتي أنا، لن أكون سعيدة بالاستمرار في خداعهم بهذه الطريقة.. وهذا ما يجب أن تشعر به أنت أيضاً، على ما أظنّ».

ساد الصمت على الطرف الآخر من الخط بعد تصريحها هذا. لكن ما

الذي يمكنها أن تقوله أو تفعله سوى ذلك؟ لا يمكنها الاستمرار بالادعاء أنّها وجاك صديقان حميمان.. مع أن هذا أغلى ما تريده في هذا العالم، وتعلم أنّها لن تحصل عليه.

قالت ماتي بعد لحظات من الصمت المستمر: «جاك؟».

أجابها جاك ببطء: «قلت منذ دقائق إنك تستغربين أن يقترح رجل مثلي.. أيّ نوع من الرجال تظنّينني ماتي؟».

إنّه ذلك الرجل الذي وقعت في حبه... ذلك الرجل المخلص، اللطيف، الرائع، الذي يهتم بأسرته. وفوق كل هذا، إنه رجل وسيم وساحر.. كيف يمكن لماتي ألاّ تقع في حبّه؟

أعلنت بنعومة: «ذلك النوع الذي لا يستمر في الكذب على أهله بشأن علاقتنا، وهي مجرد تمثيلية».

جاء صوته في غاية التهذيب: «ماتي.. بالنسبة لي لم يكن الأمر مجرد تمثيلية».

تأوّهت ماتي: «جاك، لا يمكنني القيام بذلك من جديد. لقد أحببت والديك حقاً، و.. ماذا قلت بالضبط؟».

توقفت عن الكلام فجأة، ما إن سمعت هذه الكلمات تخترق التعاسة التي أحاطت بها طيلة هذا الصباح.

كرّر جاك بهدوء: «لم يكن الأمر بالنسبة لي مجرد تمثيل، ماتي».

ـ لكن...

ـ لم يكن كذلك أبداً.

ابتلعت ريقها بصعوبة، وانخطف اللون من خديها، وأحست بالحرارة والبرودة معاً في جسمها. كما أصبحت أنفاسها ضحلة حتى الاختناق. ما الذي قاله جاك للتو..؟ هل يمكن..؟.

قطع عليها جاك صمتها الجليدي: «لا بأس ماتي. لا أتوقع منك أن تقولي إنك تبادلينني الحب.. وكما قلت من قبل، أنت عبّرت لي عن مشاعرك نحوي بوضوح هذا الصباح. لكن أنا...».

راحت رجلا ماتي ترتجفان وكادت يدها تنزلق عن سماعة الهاتف، فشدت عليها بإحكام، وقاطعته قائلة: «جاك! أظنّ أن هذا النوع من الحديث غير ملائم على الهاتف..».

ـ حسناً. بعدما سمعته منك هذا الصباح، لم يعد بإمكاني، بالتأكيد، أن أقول لك هذا الكلام وجهاً لوجه. أتعلمين، لم أدرك من قبل كم هو مؤلم أن يكون الشخص مرفوضاً من الآخر.. أتعلمين، ماتي؟ أصبحت في الثالثة والثلاثين من عمري تقريباً، ولم أشعر قبل اليوم بالانزعاج لأنني لم ألتق بعد بالمرأة التي أريدها أن تشاركني بقية حياتي. لكن أمي وأبي أحبّا بعضهما البعض من النظرة الأولى. وكنت أتوقع دائماً أن يحصل لي ذلك أيضاً حسناً... هذا ما حصل فعلاً».

ثم أكمل بخشونة: «المسألة هي أنني لم أضع في حسابي أن المرأة التي سأقع في حبها من النظرة الأولى لن تبادلني هذا الحب».

لكنها فعلت! والمسألة هي أنّها لشدة ذهولها أمام تصريح جاك عن حبه، لم تعد تستطيع الكلام.

جاك يحبّها؟ لقد وقع في حبّها منذ النظرة الأولى؟ هذا ما حصل معها تماماً...

أطلق جاك تنهيدة كئيبة، وقال مذعناً: «أقدّر لك ما قلته ماتي بالنسبة لتناول العشاء عند أهلي هذا المساء. لقد كانت فكرة سيئة.. محاولة يائسة من رجل يائس. سأشرح لهما الأمر، وأخبرهما عما حصل فعلاً في نهاية الأسبوع الماضي».

وتابع يقول بفتور: «ستصاب أمي بخيبة أمل لعدم تمكنها من رؤيتك مرّة أخرى، هذا ما أشعر به أيضاً».

أخيراً تمكنت ماتي من الكلام، مع أن صوتها بدا غريباً كأنه صوت شخص أخرق: «أنا.. لكن.. لا!».

كانت لا تزال مذهولة، بل مصدومة، إلاّ أنها شعرت بالنشوة تغمرها. جاك يحبها! إنّها ليست بحاجة إلى معرفة المزيد.

كرّر جاك بارتياب: «لا؟».

قالت ماتي بنفس مقطوع: «أظن أن تناول العشاء مع والديك هو فكرة رائعة».

وأضافت بسرعة: «أنا.. لم يكن.. لم يكن الأمر مجرد تمثيل بالنسبة لي أيضاً، جاك».

عند الصباح، أحست أنها تكاد تفقد أعصابها. فدفعتها كبرياؤها للتفوه بتلك الجملة.. اللعينة! لكن جاك تصرف، مع ذلك، بشهامة معها، وهي تدين له بذلك وعليها أن تتصرف بشهامة معه أيضاً.. ليس لأنها تدين له بذلك، بل لأنها سعيدة به أيضاً. بالإضافة إلى كل هذا، ألم يخبرها توم أنه خسر ساندي لمدة خمس سنوات لأنه كان من الغباء بحيث لم يخبرها حقيقة مشاعره نحوها؟ لن ترتكب ماتي الغلطة نفسها مع جاك.

ـ ماتي..؟

بدا الارتياب واضحاً في صوت جاك. هذا دليل آخر.. إذا كانت بحاجة إلى دليل. ألم يقل لها جاك إنه وقع في حبها منذ النظرة الأولى؟ وهو الشخص الواثق من نفسه ومن حقيقة مشاعره، بل الشخص الأكثر وثوقاً بنفسه من بين الذين قابلتهم في حياتها.

اقترحت بعصبية: «ألا يمكننا التحدّث عن هذا الموضوع وجهاً لوجه؟ فالهاتف هو حقّاً الوسيلة الأكثر.. الأكثر..».

أنهى جاك كلامها وقد بدا أقلّ ارتياباً ممّا كان عليه: «الأكثر جموداً في العالم».

وتابع يقول بسرعة: «لا تتحركي من مكانك ماتي. أنا قادم إليك».

أكّدت له بانفعال: «لن أذهب إلى أيّ مكان».

لكن المتجر مليء بالنباتات وباقات الأزهار الاصطناعية. وبدا لها مكاناً غير ملائم لهذا النوع من الأحاديث التي تأمل أن يتبادلاها هي وجاك.

قالت بيأس آملة ألاّ يكون قد أقفل الخط: «جاك!».

أجابها جاك ببطء وقد بدا الارتياب في صوته من جديد: «ماذا؟».

ـ هناك حديقة خلف الشارع المقابل للمتجر. سأ... سأكون بانتظارك هناك. فالطقس اليوم رائع ودافئ. و...».

أجاب جاك بردّ حاسم: «طالما أنك ستكونين بانتظاري، فلا يهمني المكان ماتي».

وتابع يقول قبل أن يقفل الخط: «سأوافيك خلال عشر دقائق».

وضعت ماتي سماعة الهاتف من يدها ببطء، فيما لا تزال غير مصدّقة لما يحصل معها، بل معهما. هل أساءت الفهم؟ كلا، بالتأكيد.

جاك أخبرها، حقاً، أنه وقع في حبّها من النظرة الأولى. ألم يخبرها بذلك حقاً؟ ألم يفعل...؟.

***

١٤ ـ لا غالب إلا الحب

وقفت ماتي في الحديقة المزدانة بمختلف أنواع الشتول والأزهار، متظاهرة بالاهتمام بها. ما إن رأت جاك يسير نحوها بخطوات ملؤها العزم، بعد أن دخل إلى الحديقة من البوابة الجنوبية، حتى أبعدت نظرها بسرعة عنه متسائلة عما سيتحدثان به هما الاثنان معاً. فمع أن الهاتف وسيلة جامدة، إلا أنه سمح لها بالتحدث إلى جاك بتلك الطريقة التي تحدثت بها. لكن الأمر يبدو أصعب وجهاً لوجه.

على العكس منها، لم يشعر جاك بالتردّد مطلقاً. ما إن اقترب منها حتى اكتسحتها ذراعاه، وقال متنهّداً: «أحبّك ماتيلدا ـ ماي كراوفورد».

وأحنى رأسه ليعانقها بشغف، عناقاً لم يدع لها مجالاً للشك في حقيقة مشاعره نحوها. تومّج خدّا ماتي وأشرقت عيناها بالسعادة والتفّت ذراعاها حول كتفيه وراحت أصابعها تعبث بشعره الكث الداكن. أخيراً ستتمكن من إظهار حبّها الذي كبتته في داخلها طويلاً.

رفع جاك رأسه لينظر إليها بعينين بنيّتين لامعتين. هزّ رأسه قائلاً: «واوو.. آمل ألاّ تكوني ممّن يحبّون فترات الخطوبة الطويلة».

بلّلت ماتي شفتيها متسائلة: «فترات الخطوبة...؟».

صحّح لها جاك فيما التفّت ذراعه حول خصرها: «أعني فترة الخطوبة، بالمفرد».

ثم تابع شارحاً: «خطوبتنا ماتي! فأنا أريد الزواج بك».

قال ذلك منعاً لأي التباس قد يخطر في بالها حول هذا الموضوع. ثم

www.elromancia.com

أصبح صوته أكثر رقّة وهو يقول بانفعال: «في الواقع، أنا أفضل الزواج بسرعة، من دون انتظار».

الزواج! لكن.. لم تفكّر ماتي بهذا الموضوع من قبل. فهي لا زالت تحاول استيعاب فكرة أن جاك يحبّها. هزّت رأسها وقد فاجأها الموقف، وقالت محتجّة: «لكنّك لا تكاد تعرفني، أعني لم نتعرّف على بعضنا إلاّ منذ...».

وفكّرت قليلاً: «منذ تسعة أيام فقط».

هزّ كتفيه وقال معترفاً: «لزمني فقط تسع دقائق لأعرف حقيقة مشاعري نحوك. فمنذ اللحظة الأولى التي وقع فيها نظري عليك، أدركت أنّني وجدت أخيراً المرأة التي بحثت عنها طيلة حياتي».

أما هي فقد استغرق الأمر منها وقتاً أطول.. ربما عشر دقائق أو ما يقاربها.

تابع جاك: «أما من جهة معرفة أحدنا للآخر، فلدينا العمر كلّه للقيام بذلك».

ظهرت الإثارة في عينيه القاتمتين، وأضاف بمرح: «بالمناسبة، أودّ أن أقول لك إنني لا أبدو متذمّراً عادة في الصباح؛ لكن هذا الصباح كنت منزعجاً لاقتراب موعد افتراقنا».

فهمت ماتي ما الذي شعر به حقاً.

نظر جاك إلى وجهها باهتمام، وأصبحت تعابيره أكثر رقّة لرؤية الخجل والارتباك اللذين يعلوانه. فاقترح بنعومة وهو يضع ذراعه فوق كتفيها: «تعالي لنجلس على أحد المقاعد هناك، فيخبر كلّ منا الآخر عن أسرار حياته. بعدئذٍ سأطلب منك مرة أخرى أن تتزوجينني. موافقة؟».

أخذت ماتي نفساً عميقاً، ووافقته وهي تعلم مسبقاً ما سيكون ردّها؛ مهما كان ما سيخبرها به جاك عن نفسه، فهو لن يغيّر شيئاً من الواقع: إنّها تحبّه بكل جوارحها.

ما إن جلسا على أحد المقاعد حتى قال جاك: «هل أبدأ أنا بالكلام أم

تفضلين أن تبدئي أنت أولاً؟».

علت وجه ماتي تكشيرة ساخرة: «من الأفضل أن أبدأ أنا. أظن أن ما سأخبرك به أقل بكثير مما لديك».

نظر إليها مقوّساً حاجبيه: «لا أظنني أكترث لتلميحاتك آنسة كراوفورد».

كلا! بالنظر لما باتت تعرفه عنه، هذا صحيح... حسناً، إنّها تعرف القليل عن حياة جاك الشخصية قبل أن يتقابلا.. باستثناء علاقته بشارون كسويك، والتي يبدو أنها لم تكن علاقة ناجحة. لكن من الخطأ أن تفترض أنه كان هناك العديد من النساء في حياة جاك.

قطبت قليلاً: «آسفة».

قال جاك وعيناه تشعان بالضحك: «اعتذار مقبول».

ـ فيما يتعلق بي، عندما كنت في المدرسة كنت معجبة بأستاذ الرياضيات..

ـ أكان رجلاً أم امرأة؟.

قطّبت ماتي بتوبيخ ساخر: «رجل بالطبع! وفي الجامعة كان لدي صديقان».

عبس جاك: «صديقان؟».

إنّه يهتم بمعرفة ما إذا كانت لديها علاقات عابرة في حياتها. أجابت بمرح: «في الواقع إنه صديق لا غير. تواعدنا حوالى شهرين..».

وأكّدت بسرعة ما إن رأت عمق عبوسه: «مجرّد مواعدة جاك. أما الآخر.. فقد خرجت برفقته مرّة واحدة فقط، وبعدئذٍ لم أجد أن الأمر يستحق العناء».

بدا جاك مغتاظاً: «ماذا حصل؟».

ـ ظنّ أنه بمجرد شراء بيتزا لي... بيتزا، بحق الله... فهذا يمنحه الحق بأن يشاركني سريري. فأوقفته عند حدّه بسرعة».

ضحك جاك ضحكة خافتة: «أراهن أنك فعلت. هل هذا كل شيء؟

أما من أسرار كبيرة؟».

تردّدت قليلاً: «حسناً! كان لدي علاقة قصيرة السنة الماضية، لكنّها انتهت بعد أن اعترف لي الرجل أنه مرتبط بامرأة أخرى وأنّهما على وشك الزواج».

تمتم جاك باهتمام: «آه».

وافقت ماتي: «آه. في الحقيقة، إنه ليس عذراً. لكن أنا حقاً آسفة لأنني بدلت تلك البطاقات في باقات الأزهار لشقيقاتك. فقد كنت ساخطة جداً من الرجال المخادعين بسبب تلك العلاقة الفاشلة».

أجاب باعتدال: «لا بأس، لم يتضرّر أحد بسبب ذلك. كما أن ذلك جعلني أتعرف إليك في وقت أسرع».

إنها طريقة جيدة للنظر إلى ذلك الموضوع...

عندئذٍ قالت ماتي بلطف: «إنه دورك الآن».

فكّر جاك قليلاً: «همم.. حسناً، كنت معجباً بمعلمة الرياضة عندما كنت في المدرسة. وتواعدت مع ثلاث فتيات أيام الجامعة..».

قال مصرّاً أمام نظرتها المرتابة: «ثم لم يكن لدي وقت لأكثر من ذلك».

ثم أكمل معترفاً: «منذ ذلك الحين.. وخلال السنوات العشر الماضية كانت لدي علاقتان لكنهما غير جديّتين، لكني لا زلت أحافظ على علاقة صداقة مع المرأتين.. أما شارون كسويك، فأنت تعرفينها. خرجنا معاً بضع مرات منذ عدة سنوات؛ إنها من النوع الذي يجعل المرء يفكّر بعدم الخروج برفقة امرأة مطلقاً».

هذا ما شعرت به هي أيضاً بعد علاقتها بريتشارد، ما يعني أن جاك لم يحبّ شارون تلك. هكذا فكّرت ماتي بسعادة.

أكمل جاك مبتسماً: «إلى أن التقيت بك».

قالت بخشونة: «لا شك أنك تمتعت عندئذٍ.. على حسابي».

هزّ رأسه: «لكنك ردّدت لي الصاع صاعين».

وأكمل ضاحكاً: «ذلك المساء عندما كنا ذاهبين لتناول العشاء في برج

إيفل، خشيت أن تطعنيني بسكين عندما تعلمين الحقيقة بشأن تينا، سالي، كالي وساندي».

علّقت ماتي ضاحكة: «لو رأيت كيف بدا وجهك ذلك المساء! كنت تحاول جاهداً أن تخبرني بالحقيقة، من دون أن تفلح في ذلك».

هتف جاك باشمئزاز: «الأسرة».

فقالت مدافعة لتذكره: «أظن أن أسرتك رائعة حقاً. وكما أشرت منذ قليل ما كنا سنلتقي لولا وجود شقيقاتك الأربع».

مع أنّها كانت لا تزال تشعر بالارتباك للدور الذي لعبته بشأنهن.

أمسك بيدها بكلتي يديه وراحت نظراته الدافئة تطوف فوق وجهها الشاحب: «أنا حقاً أؤمن بالحب الحقيقي. والآن، هل تعتقدين أننا أخبرنا بعضنا ما يكفي عن ماضينا؟ لأنني أود أن أطلب يدك للزواج».

راحت ماتي ترتجف من جديد، وعلا وجهها الخجل: «أنا...».

توقفت قليلاً لتبحث عن الكلمات المناسبة: «نحن مختلفان جاك...».

قال جاك مؤكّداً: «حسناً، أنا رجل وأنت امرأة. لكن أعتقد أن هذا أمر طبيعي جداً عندما يتعلق الأمر بالزواج».

أومأت وهي ترتعش: «تعلم أن ليس هذا ما قصدته».

اشتد ضغط يديه حولها، وأصبح تعبيره أكثر جديّة: «أعرف ماذا تقصدين بالضبط. ماتي، أهم ما في الموضوع هو أننا نحب بعضنا البعض».

ثم أكمل بتردّد: «أو، ربما ليس الأمر كما أظنّ؟ ربما تسرعت قليلاً. ماتي هل...».

قاطعته ماتي بحدّة. وقد حزرت ما سيكون سؤاله التالي: «بالتأكيد أنني أحبك جاك. لكن فقط...».

استدار جاك ليواجهها، وأحاطها بذراعيه: «إذاً، لا مشكلة ماتي، إذا أردت، يمكنني أن أفعل كما فعل توم، فأمضي خمس سنوات في محاولة إقناعك بأنني أحبك.. لكنني لا أريد ذلك. أريد أن أكون معك الآن

ودائماً. أن أستيقظ صباحاً لأجدك بقربي، أن أتناول الفطور معك والغداء أيضاً إذا أمكن. أريد العودة مساءً لتناول العشاء معك وقضاء الأمسية برفقتك، ثم النوم بين ذراعيك طيلة الليل».

إنّها تريد هذا أيضاً.. وبقوّة.

ابتلعت ريقها بصعوبة: «لكن ألن... ألن تضجر مني بعد حين؟».

يضجر منها؟ ردّ جاك قائلاً: «هل ستضجرين أنت؟».

فكّرت ماتي أن لا شيء في العالم أكثر روعة من الحياة مع جاك، وبالطريقة التي وصفها لتوّه. فأجابته بصدق: «كلا».

اشتدت ذراعاه حولها: «لا يمكن أن أضجر منك ماتي. فأنت فاتنة وغير مملّة على الإطلاق».

ارتعشت ماتي لهذه الفكرة: «لكن، ماذا بالنسبة لأسرتك..؟».

قطّب متسائلاً: «ماذا عنها؟».

ـ حسناً، ألن يظنّوا... لا بد أن يعلموا أننا لم نتعرف إلى بعضنا منذ فترة طويلة. ألن يظنّوا أننا.. تسرّعنا قليلاً؟».

هزّ جاك رأسه مبتسماً: «يصعب عليّ قول ذلك، لكن مجيئك معي إلى باريس لقضاء عطلة نهاية الأسبوع جعلهم يدركون تماماً أين أريدك أن تكوني في حياتي. أعترف أن هذا ما قصدته فعلاً».

فجاك يعرف تماماً ما هي الاستنتاجات التي توصل إليها أفراد أسرته فيما يتعلق بعلاقته بماتي. وهذا بالضبط ما كان يرمي إليه.

تابع كلامه بخشونة: «في الواقع، بحسب معرفتي بأمي، سوف تبدأ منذ الغد بتحضيرات الزفاف».

علّقت ماتي: «همم... بالحديث عن الأمهات..».

قاطعها جاك باهتمام: «هل تمانعين في خروج أمك هذا المساء في موعد؟ إنها لا تزال جميلة، كما تعلمين ماتي. و...».

أكّدت له بصدق: «بالطبع لا أمانع. بل أنا سعيدة من أجلها، فلطالما قلت لها إن عليها الخروج برفقة أحدهم. وإيجاد شخص تشاركه بقية

حياتها».

قال جاك بنبرة حزينة: «لكن كما ترين، لم تفعل ذلك من قبل بل كرست حياتها من أجلك».

استنتجت ماتي: «يمكنني أن أرى ذلك الآن. ذلك الصباح عندما أتيت للتحدث إليها لم أتمكن من معرفة ما دار بينكما، وماذا قلت لها حينها. أما الآن، فإن لم أكن مخطئة، ما قلته لها كان كافياً لكي توافق أخيراً على قبول دعوة ميتشل فوغهام إلى العشاء».

شدّ جاك قبضيته على كتفيها: «هاي.. لم تكن تلك مؤامرة كبيرة. فما قلته لها، في الواقع، هو إن نواياي شريفة نحوك. وبدت مسرورة جداً لذلك».

ابتسمت ماتي: «هذا لا يفاجئني، فطالما كنت عبئاً عليها».

اعترف جاك: «يمكنني تخيّل ذلك. لكنني سعيد الآن بأن تصبحي عبئاً عليّ أنا».

قالت بصوت أبحّ: «في هذه الحالة، علينا ألاّ نخيّب أمل أمّي، ووالديك. أليس كذلك؟».

التمعت عينا جاك بلون قاتم: «هل يعني ذلك أنك موافقة على طلبي بالزواج منك؟».

أجابته ماتي بحنو: «بالتأكيد».

كيف يمكنها أن ترفض؟ فهو يحبّها وهي تحبّه. كما أن أسرتيهما موافقتان على ارتباطهما كما يبدو. بالإضافة إلى ذلك، فهي تكاد تطير فرحاً لفكرة أن تصبح زوجة جاك، وأن تمضي بقية حياتها بقربه.

قال جاك متأثراً فيما هو يضمها بقوة بين ذراعيه: «لن تندمي على ذلك ماتي. سوف أحبك حتى آخر يوم في حياتي».

فعاهدته قائلة: «وأنا كذلك جاك».

ـ هذا كل ما يجب أن نهتم له.

وأحنى رأسه ليعانقها بكل ما لديه من حب وشغف، فهذا حقاً ما

يهمهما. أدركت ماتي ذلك باقتناع داخلي. أما المستقبل.. مستقبلهما معاً.. فسوف يبنيانه معاً.

***

راحت بيتي تنظر ملياً إلى ابنها الجالس بهدوء إلى جانب سرير زوجته، في المستشفى. وقالت بمرح: «أتعلمين ماتي؟ أنت الشخص الوحيد الذي أمكنه أن يسكته بهذه الطريقة».

رمقت ماتي زوجها بنظرة عطوفة، وبداهما متشابكتان.. ثم ابتسمت بذهول وهي تنظر إلى السريرين الصغيرين المتشابهين الموضوعين عند نهاية سريرها: «أعترف أنني فوجئت أنا أيضاً».

طفلان! وليس طفلاً واحداً كما كان يتوقعان. إنهما صبيان توأمان. بدت ماتي مذهولة مثل جاك تماماً؛ فما إن ولد ابنهما الأول واستقر بين ذراعي والده بأمان، حتى عاودتها الأوجاع من جديد، وما لبث أن ولد ابنهما الثاني بعد دقائق معدودة.

خضعت ماتي خلال فترة حملها للعديد من الفحوصات وأجري لها العديد من الصور الصوتية، لكن لم يظهر أي منها وجود طفلين بدلاً من واحد.

ما إن استفاقت ماتي من الصدمة الأولى حتى شعرت بالسعادة لرؤية طفليهما المتشابهين. أما جاك، فكما قالت بيتي، لا يزال واقعاً تحت تأثير الصدمة. لقد مرّ على زواجهما اليوم سنة كاملة. شعرا بالسرور لمصادفة ولادة طفلهما الأول في هذا التاريخ بالتحديد. أما وقد ولد لهما توأمان، فهذا سيجعل الفرحة مضاعفة.

سأل إدوارد بوتشامب: «هل اخترتما لهما اسمين».

بدت ماتي ممتنّة لتبديل الموضوع فابتسمت قائلة: «اخترنا اسم جايمس إدوارد.. جايمس هو اسم والدي وإدوارد هو اسمك. لكنني أظن.. أننا الآن سنسمي أحدهما جايمس والثاني إدوارد، ما رأيك جاك؟».

وافقها جاك وهو لا يزال مذهولاً: «كما تريدين».

نظر إدوارد إلى زوجته نظرة ذات مغزى: «بيتي، أعتقد أن من الأفضل أن ننتظر قليلاً في الخارج، لنعطي جاك وماتي بعض الوقت لوحدهما قبل مجيء ديانا وميتشل لرؤية حفيديهما».

لقد أصبحت الأسرة أكبر الآن؛ فديانا تزوجت من الطبيب البيطري منذ ستة أشهر، وأصبح الثنائيان المتقدمان في السن من أفضل الأصدقاء. فهم غالباً ما يتناولون العشاء معاً.

وافقت بيتي على الفور: «أجل، بالطبع».

وانحنت لتقبل خدّ ماتي مطمئنة بنعومة: «هذا بالضبط ما حصل لإدوارد عند ولادة سالي وكالي. سوف يتخطى ذلك».

ثم نظرت بحنو نحو ابنها: «إنه تأثير الصدمة».

نظرت ماتي نظرة متفحّصة إلى جاك ما إن أصبحا وحدهما في الغرفة، فهي لا تظنه منزعجاً لفكرة ولادة طفلين لهما بدلاً من طفل واحد.. أتراه كذلك؟ أخيراً قالت تحثّه: «جاك...؟».

نظر إليها جاك بقلق. ابتلع ريقه بصعوبة: «ظننت.. كانت معاناة بالنسبة لي أن أجلس هنا وأراقبك وأنت تتألمين لساعات، من دون أن أتمكن من مساعدتك. ليتني كنت أستطيع أن أتوجع بدلاً منك، لكنت فعلت ذلك بطيبة خاطر».

أومأ مرتجفاً فيما اشتدت قبضة يده فوق يدها: «وعندما عاودك الألم مرة أخرى.. ظننت أن خطأ ما قد حصل. وخشيت أن أفقدك».

أشرقت ملامح ماتي لومضة الحب هذه التي أعلنها جاك. وامتلأت عيناها بالدموع وهي تنظر نحو طفليهما النائمين: «أعرف أن الآلام لم تكن ممتعة، جاك. لكن في اللحظة التي ولد فيها جايمس نسيتها كلّها، وعندما ولد إدوارد.. ! أليسا رائعين، جاك؟».

وقف جاك ليعانقها بقوة بين ذراعيه: «رائعان تماماً. ولكن.. تباً! ماتي، متى ستكفين عن مفاجأتي؟».

ضحكت ماي: «آمل ألاّ يحصل هذا».

ضحك جاك أيضاً، وقد شعر بالارتياح لزوال الخطر عنها: «آمل ذلك أيضاً. أحبك ماتيلدا ـ ماي بوتشامب، وسأحبك دوماً».

أجابته من دون تردّد: «وأنا أحبك جاك، وسأحبك إلى الأبد..».

إلى الأبد!!

* * *

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة